# وللنيل وجه اخر

## حكايات تاريخية على ضفاف النيل

**«ما بين القرن الثامن عشر حتى منتصف القرن العشرين»**

# وللنيل وجه اخر..

## حكايات تاريخية على ضفاف النيل

الصور الأرشيفية والمادة التاريخية والتصميم

أيام مصرية


احمد كمالي – عمرو إبراهيم

kamaly@ayammasrya.com



المكتب العربى للشباب والبيئة

هذا الإصدار من أنشطة المنتدى الوطني لدول حوض النيل - مصر

الإشراف العام/ م. عصام ندا

2007



تحذير:

يحظر النقل أو التصوير أو إعادة النشر بأي وسيلة من الوسائل بدون إذن من الناشر

# كلمة المؤلف

أيام مصرية . . هي مؤسسات المجتمع المدني في مصر العاملة في مجال التوثيق التاريخي للأماكن والأحداث مستخدمة ما لديها من أرشيف هائل يضم كتب نادرة ووثائق وصور وجرائد ومجلات تغطي أحداث عالمية وذلك في إطار خطتها الخاصة نحو تنشيط الذاكرة الوطنية بكل ما فيها من أصالة وجذور تفيد الأجيال الحالية وتجعلها أكثر تواصلا مع الأجيال السابقة في إطار خطة وطنية لا تجعل الربح أساسا لمشروعاتها التاريخية . . ومن هذا المنطلق تعاونت أيام مصرية مع المنتدى الوطني لدول حوض النيل . . لتقديم النيل بشكل مختلف . . أكثر جاذبية للمواطن العادي . . وذلك عبر فصول كتبناها وأمامنا هدف هام هو أن نصل بحكاياتنا عن الناس في مصر إلى كل شعوب العالم . . ولنقدم لحظات وفقرات من التاريخ الشعبي المصري . . التاريخ غير المكتوب مستخدمين الصور النادرة للأشخاص والأماكن عبر خطتنا العامة في التوثيق التاريخي التي تعاونا من خلالها مع وزارات وهيئات لتوثيق تاريخها وتقديمه للمواطن العادي بشكل جذاب فقدمنا للمكتبة الثقافية كتاب عن تاريخ الإذاعة المصرية وكتاب عن تاريخ نقابة المحامين المصرية وسلسلة أعداد من مجلة أيام مصرية بلغت الثلاثين بعضها خاص بمئوية مصر الجديدة ومئوية جامعة القاهرة وإنشاء شركة مصر للطيران وينضم إليهم هذا الإصدار «حكايات على ضفاف النيل» .

أيام مصرية

**ملحوظة:**

**الفقرات الواردة في الكتاب بين الأقواس منسوبة إلى مصادرها بنفس اللغة التي كتبت بها حفاظاً على الأصل بدون تغيير أو تعديل لا سيما أن بعض هذا الفقرات ترجع إلى مصادر تاريخية من القرن الثامن والتاسع عشر .**

# تقديم

«صوت من لا صوت لهم» هو شعار المنتدى الوطني لحوض نهر النيل منذ نشأته عام ٢٠٠١، حتى الآن وهذا الشعار يضفى بمعان عميقة للمشاركة الشعبية في دول حوض النيل التى تعيش على ضفاف هذا النيل الذى يشق دول كثيرة ويحمل معه العديد من الخيرات والأسرار والأرزاق التى ترتبط بشكل مباشر بحياة شعوب كانت ومازالت تحاول أن تكتشف هذا النهر العظيم وتتعايش معه وتروضه.

وفى هذا الإصدار والذى يتم ضمن أنشطة المنتدى الوطني لحوض النيل فى مصر، فإننا نقوم بسرد حقبة تاريخية متميزة ليست بالبعيدة جدا كحياة المصريين القدماء ولا بالحديثة التى نعيشها الآن والتى فيها تدفقت البيانات والتحليلات والمعلومات عن النيل، ولكننا نحاول أن نلقى الضوء على فترة هامة جدا للمصريين ودول حوض النيل من منتصف القرن التاسع عشر إلى النصف الأول من القرن العشرين والتى شهدت تحولات جذرية فى التعامل مع النيل من خلال المجتمع والساسة والخبراء المصريين وغير المصريين.

إننا نرصد فى هذا الإصدار بعض الحكايات على ضفاف النيل كان أبطالها الشعوب والحكومات والنهر نفسه.

إننا نهدف أن نكشف كيف أثر النيل فى المصريين وكيف أثر المصريين فى النيل.. كيف تعامل الناس مع الفيضان الجارف الكاسح ومحاولاتهم لتهدئته وترويضه.. كيف

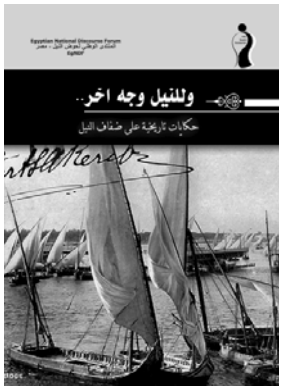


كان النيل حصناً لأهالي القاهرة وحكاية أشهر وأقدم جزيرة في نيل القاهرة . . كيف تحولت حياة المصريين إلى جحيم عندما غابت مياه النيل عن أهم وأكبر مشروعات مصر وهى قناة السويس حين كان يتم حفرها بسواعد المصريين العطشى وكيف كان نقص الماء سبب فى وفاة الآلاف من العمال الذين كانوا يحفرون هذه القناة .

نرصد من خلال هذه الكتاب كيف كانت ماء النيل تُنقل عبر قربة السقا لتسقى أهالي القاهرة بأغنيائها وفقرائها وكيف تم استبدال هذه المهنة الرقيقة بالتوصيلات والمواسير من خلال شركات المياه . . كيف كان الإهتمام بإكتشاف منابع النيل وتدريس جغرافيا النيل للطلبة منذ أكثر من مائة عام . . وغيرها من الحكايات التاريخية التى تُظهر مدى علاقة النيل بحياة هذا الشعب وتطوره .

إن هذا الإصدار هو إطلالة تاريخية على هذا النهر وعلاقة المجتمع به والتى يمكن أن تكون مستمرة حتى الآن وإن كانت تبدو بصورة مختلفة فى بعض ظواهرها ولكنها متشابهة فى روحها وأدائها .

فإنها علاقة حياة وهبها الله لمن يعيشون على ضفاف النيل بأن سخر لنا هذا النهر فكان لزاما علينا أن نحافظ عليه لنحافظ على وجودنا .

المنتدى الوطنى لحوض النيل – مصر

# الفصل الاول

## محاولة ترويض نهر

ربما لم يشاهد الكثير منا "فيضان النيل" إنه الوجه الآخر لذلك النهر الذي نراه اليوم، يسير أمامنا في مجراه الطبيعي في رقة وعذوبة . . كملك يختال زهوا بين عشيرته . . النيل بالنسبة لنا الان هو ملهم الشعراء، وملتقى العشاق ، والساهرين والسامرين ، منبع الرومانسية والصفاء . . على جانبيه تعلو المباني ، وصارت السكنى على ضفافه أو حتى قريبا منه هي الأغلى ثمنا .

أما بالأمس فذاكرة التاريخ تحفظ لنا صورة أخرى مغايرة للنيل . . نراه فيها أحيانا هادرا هائجا يفيض بالماء ويزداد على ضفافه بقوة، ليأخذ معه في طريقه ما يقابله من الحرث والنسل ذلك هو الفيضان. وأحيانا أخرى نراه وقد ضن علينا بالماء والخير حين ينقص منسوب المياه فيه ، فتهلك الأرض عطشا .

وعلى مر التاريخ كانت هناك محاولات لا تنقطع من الإنسان لترويض هذا النهر والسيطرة عليه. ودائما ما كانت تتأرجح بين النجاح والفشل .ومن هذا التاريخ نحكي جانبا من قصة الإنسان المصري البسيط ، ومحاولاته الدؤوبة للتعايش مع النيل ، ومحاولات أخرى لترويض هذا النيل العظيم الذي نأمل في خيره، ونتوجس من فيضانه.

ويبدو لنا دائما أن من شاهد ليس كمن سمع ، ولأننا لم نشاهد الفيضان ، وربما سمعنا عنه فقد بات من الضروري أن نقرأ عنه في كتب التاريخ ، لنعلم كم عانا أجدادنا في الماضي من فيضان هذا النيل .

وهذا هو الأثري الفرنسي الشهير جان فرانسوا شامبليون، صاحب الفضل في فك رموز حجر رشيد، التي ساهمت بصورة مؤثرة في معرفة أسرار الحضارة الفرعونية، وأحد الذين شاهدوا فيضان النيل في مصر ، يرصد لنا التاريخ تلك الظاهرة في إحدى رسائله المهمة التي كان يرسل بها لفرنسا .

كان شامبليون في هذه اللحظات في قرية أخميم بصعيد مصر، فماذا كتب عما شاهده من فيضان النيل عام ١٨٢٩ في عهد محمد علي باشا .

يقول شامبليون : (كنت أقضي طيلة اليوم مستلقيا في القارب الشراعي الجميل، الذي تفضل بتأجيره لنا صديقنا محمد بك في أخميم، وكنت أقطع الوقت في التأمل ومتابعة اتجاه الريح ، وجس ومراقبة المجدافين وبالرغم من عنفوان تيار النهر المنهمر بإفراط ، والذي تعدى أقصى منسوب لفيضانه ، نجحت الرياح الشمالية في معاكستنا طويلا، وبالطبع فإن فيضان هذا العام رائع وعظيم بالنسبة للرحالة من أمثالنا، والذين لا يستهويهم في تلك الأرياف سوى متعه المشاهدة. بينما يختلف الأمر كثيرا للفلاحين الفقراء، والمزارعين التعساء ، حيث تسبب الفيضان الزائد على الحد في إتلاف محاصيل عديدة، مما سيدفع الفلاح حتى لا يتضور جوعا إلى أكل القمح الذي تركه له الباشا لبذره في الموسم القادم . وقد رأينا بالفعل قرى بأكملها وقد أذابتها مياه النهر، وما كانت لتصمد أمامها أكواخ صغيرة وحقيرة مشيدة من الطمي المجفف في أشعة الشمس، وكانت المياه تمتد من قرية لأخرى في عدد من الأماكن ، أما في الأماكن المرتفعة التي لم تغمرها المياه كنا نرى الفلاحين الأشقياء من رجال ونساء وأطفال ينقلون على جناح السرعة قففا مملوءة بالأتربة بغرض إقامة سدود وحواجز على ارتفاع ثلاث أو أربع بوصات لصد نهر عاتٍ ، وإنقاذ بيوتهم والمؤن الغذائية القليلة المتبقية لديهم . ياله من مشهد مكدر مؤسف تدمع له العينَ ويدمى له الفؤاد . فمصير بلد التطوع والاكتتاب، بل إن الحكومة لن تتنازل عن جباية مليم واحد بالرغم من تلك المصائب والنكبات) .

ولنتوقف بعد أن انتهى شامبليون من وصف الفيضان لنتأمل بعض الكلمات ونقف عندها مثل "ياله من مشهد مكدر مؤسف !" " تدمع له العين ويدمى له الفؤاد" .

ولنتأمل أيضا بعض المعاني والدلالات المهمة في ما كتبه شامبليون والتي نرى منها البعد الاجتماعي المؤثر لظاهرة الفيضان فإتلاف المزروعات بفعل الفيضان يضع الفلاح المسكين على حافة

شامبليون

" التضور جوعا " وما السبيل من النجاه . . إنه يأكل ما تركه الباشا من القمح لبذره العام القادم . . والفيضان لم يأتي على الأرض فقط بل إنه يدمر البيوت والمؤن الغذائية للفلاحين الغلابة البسطاء .

ومع ذلك فإن حكومة محمد علي باشا لن تتنازل عن جباية مليم واحد من ضرائب الأرض رغم هذه المصائب.

ولكن هل يستسلم الفلاح ؟ . . لا

فالفلاحون الأشقياء كما وصفهم شامبليون برجال ونساء وأطفال، ينقلون على جناح السرعة قففا مملوءة بالأتربة بغرض إقامه سدود وحواجز بدائية لإنقاذ بيوتهم ومؤنهم الغذائية ، إنها محاولات البسطاء لترويض نهرٍ أقوى منهم.

ولنقترب أكثر من الفيضان ونرى له مشهداً آخر ، إنه فيضان النيل في مصر عام ١٨٦١ الذي وصفته إحدى الصحف الفرنسية الصادرة خلال هذه الفترة بأنه أغرق بعضا من قرى الوجه البحري ، وأتلف المزروعات لتطغى المياه على مساكن الفلاحين ويسقط ضحايا كثيرون ، أما الجديد والمثير في المشهد الذي رصدته الجريدة الفرنسية فهو أن الفيضان أحدث ضررا بخط السكة الحديد الذي يربط بين القاهرة والإسكندرية.

ولنتأمل في ذلك فيضاناً آخر حدث عام ١٨٦٤ والذي وصفته المصادر التاريخية بأنه كان عاليا جدا تعطلت بسببه المواصلات، وقطعت جسور كثيره، غرقت أراضي مديرية القليوبية والشرقية وخاف الجميع حين ذاك على البلاد من الفيضان.
عندها صدر أمر كريم من حاكم مصر الخديو إسماعيل بتكليف جميع البالغين أيا كانت جنسيتهم من أي منطقة محصورة بمياه الفيضان على العمل في أعمال الوقاية. فلما زال الخطر وسلمت البلاد أراد القناصل وأبناء الجاليات الأجنبية شكر الحكومة المصرية فاكتتبوا مبلغا لإقامة تمثال لحاكم مصر الخديو إسماعيل ، غير أنه شكرهم وطلب وضع المال في سبيل خدمة التعليم

" الفلاحون و الديون و الفيضان "

ولنقرأ مشهد الفيضان بطريقة أخرى أغفل عنها كثير من الكتاب الذين تناولوا ظاهرة الفيضان ، وهي ربط حدوث الفيضان بالوضع العام للدولة اقتصاديا واجتماعيا .
كانت مصر في عصر الخديو اسماعيل تمر بأزمة مالية طاحنة بسبب القروض التي استدانها الخديو من بيوت المال الأجنبية . فتحت هذه الديون الباب على مصراعيه للتدخل الأجنبي في مصر ، حتى وصل الحال لفرض الوصايا المالية على البلاد وإقحام الأجانب للعمل في الوزارات المصرية . وقد ابتلعت هذه الديون معظم ميزانية الدولة ، حتى وصل الحال عام ١٨٧٨ أن عقدت الوزارة قرضا من بنك إنجليزي قدره ثمانية ملايين وخمسمائة ألف جنيه، وهو ما يسمى بقرض الدومين، وفيه تم رهن مساحات شاسعة من أراضي الأسرة الحاكمة .
ويذكر لنا المؤرخ عبد الرحمن الرافعي صاحب كتاب تاريخ الحركة القومية في مصر: ( أن الوزارة التي دفعت من هذا القرض أقساط الديون لم تعبأ بما دون ذلك من مصالح البلاد ومطالب الأهالي ، فلم تسدد ما كان متأخراً للموظفين من رواتب، ولم تخصص شيئا لمرافق البلاد العامة ) .
كان قرض الدومين هذا يدل على مدى الانحطاط المالي الذي وصلت إليه مصر. حتى انتهكت هيبة أملاك الأسرة المالكة وتم عرضها للرهن ، وبات الخديو مثل الفلاح البائس الذي تثاقلت عليه الديون ، فما كان من محيص من أن يطلب من زوجته أن تبيع متاع الدار.

الخديوي إسماعيل شهدت مصر في عهده فيضانات عنيفه

فإذا كان هذا هو حال قمة الدولة فماذا عن القاع . . الفلاحون البسطاء ؟ كيف كان الحال في ظل الأزمة المالية الخانقة في عهد الخديو إسماعيل ؟ . نعود للمؤرخ عبد الرحمن الرافعي الذي كتب بأن الفلاح حينما أخذت ( الضرائب في الازدياد اضطر إلى أن يجود بكل ما كان مدخرا عنده ولم يبق لديه إلا أرضه ، فإذا ما أرهقته الحكومة في طلب الضرائب اضطر للجوء لأحد المرابين الأجانب ليقرضه بالربا الفاحش ويرتهن أرضه ، فلو تأخر عن السداد ساقوه للمحكمة، لتنزع أرضه ، وتباع بأبخس الأثمان ، ولم تكن للضرائب قواعد معلومة ولا قوانين ولا لوائح ولم تكن موزعة على الأهالي توزيعا عادلا . وكانت الأهواء تتحكم في إعفاء رجال الخديو والمتصلين بحاشيته، وكان إرهاق الفلاحين بأفدح الإتاوات لسد العجز بميزانية الحكومة) .

وأخيرا نختم لإتمام المشهد من الصورة التي رسمها المؤرخ الرافعي بقوله :

( لا عجب أن تؤدي هذه الحالة بالأهالي للضنك والبؤس حتى كانوا في كثير من الأحيان يضطرون لبيع حاصلاتهم بأبخس الأثمان قبل أوان نضجها ليؤدوا ثمن الضريبة، وكانوا يضطرون أيضا لبيع مواشيهم ) .

وبعد . . لنتأمل الصورة ، فلاح بائس . . مرابون . . ضرائب بغير ضابط ولا رابط . . ميزانية دولة مثقلة بالديون . . حاكم يرهن أملاك أسرته من أجل سداد ديونه ، وفجأة وسط هذا الصخب والعبث يباغت النيل الجميع بفيضان هائل . . يأتي على ما يقابله من الأخضر واليابس والحرث والنسل عام ١٨٧٨ . الذي وصف بأنه الأعنف في تاريخ مصر خلال القرن التاسع عشر ، وكما قالوا عنه " إنه الفيضان الذي روع البلاد وشيب الأطفال ودمر القرى " ولتطلق العنان لخيالك لتصور كيف يكون الوضع .

ولم يكن فيضان النيل واغراقه الأرض والبشر والبيوت هو الصورة الوحيدة لتقلبات النيل التى كانت تمثل خطرا على حياة المصريين . بل كانت هناك صورة اخرى عكسية لم تكن في خطورتها أقل من سابقتها ، ألا وهي نقص مياه النيل وهي حالة من حالات التقلب المزاجي الطبيعي للنيل ، يأتي فيها النيل شحيحا . . يضن علينا بفيض الماء كما حدث عام ١٨٧٧ فجاء نقص النيل نقصا كبيرا مما القى بظلاله على حالة البلاد الاقتصادية ، حيث حرمت مساحات كثيره من الأراضي من سقي ماء النيل ، لا سيما في الوجه القبلي ، وقد استفحل الأمر حتى قيل إنه حدثت مجاعة في الوجه القبلي نظرا لبوار الأرض الزراعية ، وذكرت بعض المصادر أنه مات بسبب هذه المجاعه حوالي عشرة آلاف شخص .

وبعد فقد وصلنا هنا لذروة العلاقة بين الإنسان والنهر . . وصلنا إلى ذروة المشهد الإنساني الدرامي . . نحن أمام إنسان مصري ارتبطت حياته بالنيل ، يريد الإستقرار والنيل متقلب المزاج لا يعلم أحد فيما يفكر، ففي لحظة كان شحيحا فأهلك الأرض عطشا والناس جوعا كما حدث في فيضان ١٨٧٧ وفي العام التالي تحول إلى نيل هادر هائج صب الماء على الناس صبا ففاض وأغرق القرى والأهالي .
نحن أمام معادلة صعبة للغايه وهي معادلة الاستفادة من ماء النيل أو كما يقول الباحث عبد العظيم سعودي في كتابه " تاريخ تطور الري في مصر " :
( إن نهر النيل هو رأس مال مصر وأقاليمها ونواة حياتها، فإذا أتى فيضانه شحيحا في سنة من السنين كانت سنة جدب ، وإذا زاد فيضان النيل زيادة كبيرة أغرق مصر بمائه الزائد على الحاجة فيكون الضرر أعم والخطب أدهى ) .
والإنسان المصري البسيط سلك في سبيل حل هذه المعادلة طرقا كثيرة ، وهو يعلم تماما أن بينه وبين النيل وحدة مصير مشترك . . فهو ابن النيل الشرعي . . وانظروا الى بشرته السمراء التي هي قطعة من طمي النيل . . منذ الأزل وهو يحاول . . تعددت المحاولات والوسائل للتحكم في مياه النيل ، يبني الجسور ، ويشق الترع ، ويقيم القناطر والسدود ، حتى انه لم يبخل بروحه ، فألقى بنفسه أمام تيار النهر العاتي في تحدٍ لا تنقصه الجرأة .

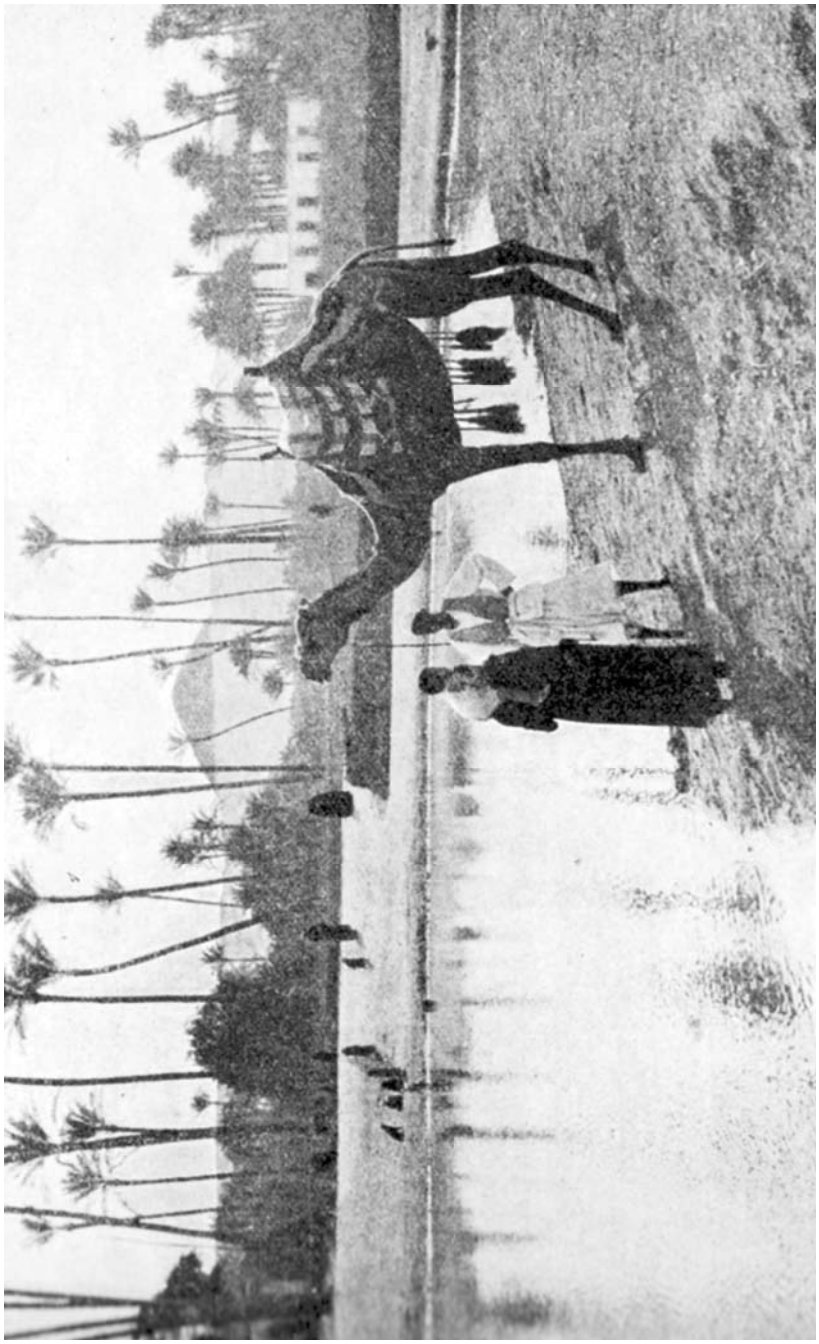

الانسان المصري ارتبطت حياته بماء النيل

ربما لن يتسع المقام لأن نحصي عدد المشروعات التى أقامها المصريون على النيل في محاولة لترويضه ، والتحكم في مائه ، ولكننا هنا نعرض نموذجين من هذه المشروعات أحدهما بنى في القرن التاسع عشر، وهو مشروع القناطر الخيرية ، والآخر مع مطلع القرن العشرين وهو خزان أسوان، وكلاهما بحق كان أعجوبة عصره .

" القناطر الخيرية "

ولتكن البداية مع مشروع القناطر الخيرية ، كان محمد علي باشا حاكم مصر واليا ذكيا طموحا ، كان يرى بذكائه الفطري رغم أنه كان رجلا أميا لا يقرأ ولا يكتب ، حتى بلغ سن الأربعين ، أنه لا سبيل للنهوض بالأمة المصرية اجتماعيا واقتصاديا إلا بتغير نظام ري الأرض الزراعية. كان يفكر كيف يتحول ري الأرض من ماء النيل إلى ري مستديم يمكن من خلاله زيادة المحصول ، وإدخال أنواع جديدة من الزراعات التي استحضرها من الخارج ، وكانت تعتمد على الري المستمر.

اهتم الباشا في اول الأمر بالجسور المقامة على النيل حتى لا تفيض مياه النيل على المزروعات فتغرقها قبل الجني ، وعمق كثيرا من مجاري الترع ، لكن هذه الأساليب كانت ذات نفقات باهظة ومشقة لا تطاق ، ففكر الوالي في فكرة أخرى وهي سد فرع النيل من ناحية رشيد بالأحجار، لتحويل جميع المياه لفرع دمياط وبذلك يستطيع رفع منسوب المياه الطبيعي حتى يستطيع شق الترع والمصارف.

ولكن نصحه أحد المهندسين الفرنسيين وهو مسيو لينان دي بلفون ، وكان يعمل في خدمة الوالي محمد علي باشا بخطورة هذه الفكرة فعدل عنها الباشا .

وظلت فكرة التحكم في ماء النيل تؤرق محمد علي باشا الذي طرح السؤال على مجموعة من المهندسين ليقدم كل منهم مشروعا هندسيا يجيب عن هذا السؤال ، وكان الوالي يجيد تماما اختيار الرجال العاملين في خدمته ويعلم كيف يستعملهم لما يريد ويحلم.مسيو لينان دي بلفون عاد ليرد على السؤال بمشروع يقترح فيه إنشاء قنطرتين على النيل تفتحان وتقفلان حسب حاجة الأرض للماء وحالة الفيضان.

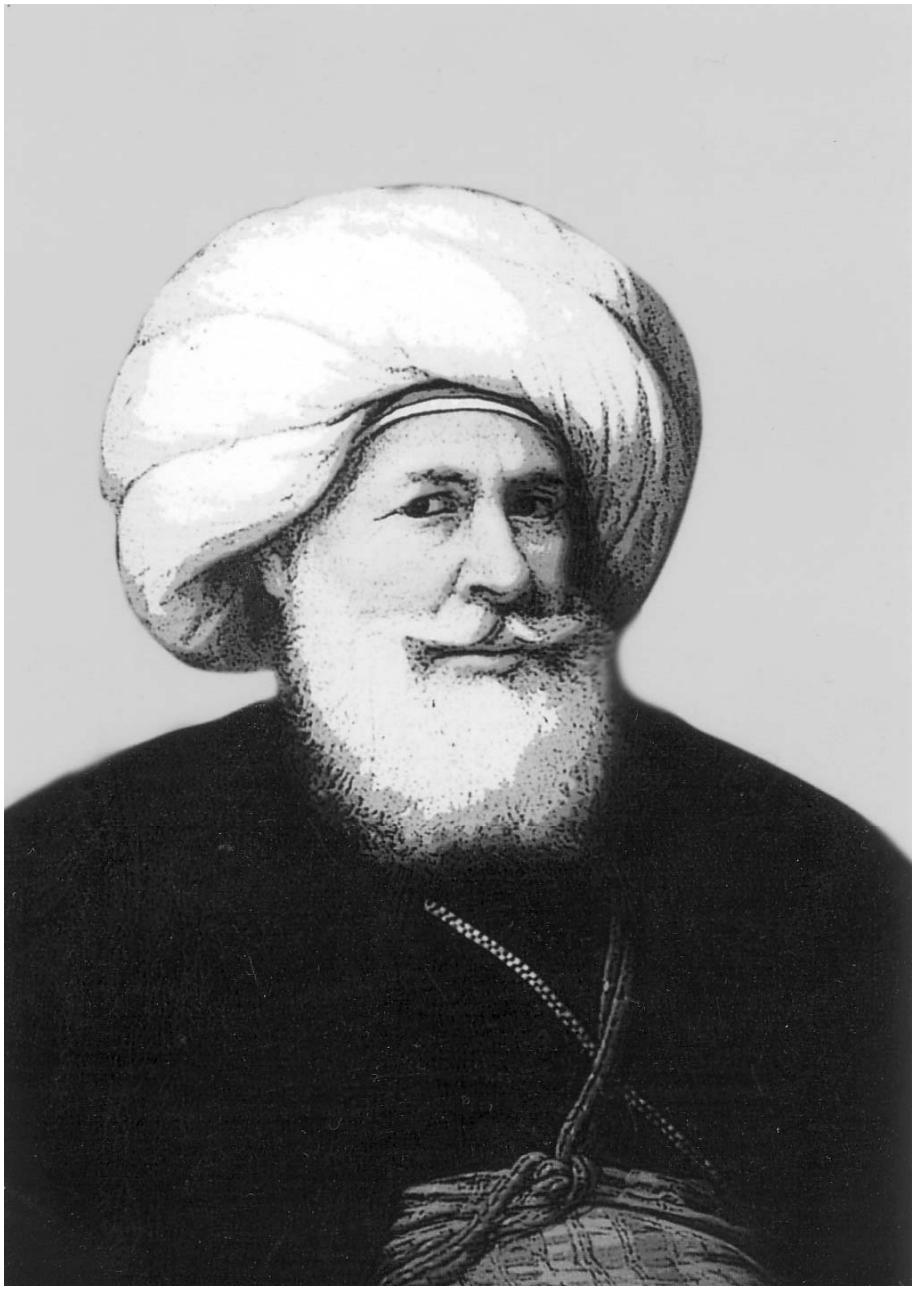

حاكم مصر / محمد على باشا (١٨٠٥-١٨٤٨)
بدء في عصره بناء القناطر الخيرية

وافق الوالي ثم دارت العجلة وبدأوا في تنفيذ المشروعات ، تم إنشاء الورش وجلب عمال مصريين وأجانب. وتمت إقامة خط حديدي بين جبل طرة والنيل لنقل الأحجار اللازمة لبناء القنطرتين ، وشيد مصنعا للطوب بمديرية المنوفية لإمداد المشروع بما يلزم.

وفجأة توقف العمل في المشروع والسبب أن وباء الطاعون ضرب مصر وحصد الأرواح. . . يا له من حظ عاثر . . . إنه القدر الذي كان لابد للمصريين أن يعيشوه وبعد أن هدأت موجة الطاعون كان الأمل يحدو مسيو لينان في إكمال المشروع ، ولكن للأسف أوقف الوالي محمد علي باشا العمل وأمر بنقل المهمات لأعمال أخرى، فهدمت الورش والمخازن وتم تسريح العمال. . . ويبقى السؤال. . . ما السبب في تحول الباشا المفاجئ ؟ قالوا إنها الدسائس والمؤامرات على مسيو لينان من رجال الوالي !

وبعد فترة من الوقت عاودت محمد علي باشا فكرة إنشاء قناطر على النيل ، وجاء التنفيذ على يد مهندس فرنسي هو موجل بك ، الذى قد أنشأ حوض السفن بميناء الإسكندرية ، فعهد له الباشا أن يضع تصميم لإنشاء القناطر .

ورغم أن الباحثين ذهبوا للتأكيد على أن فكرة إنشاء القناطر الخيرية ليست من ابتكار والي مصر محمد علي باشا ، لأن نابليون بونابرت أثناء حملته الفرنسية على مصر كانت تراوده نفس الفكرة التي دونها في مذكراته ، فكان يرى أنه من الأعمال الجليلة التي لابد من تنفيذها يوما ما بأن يقام سدا على النيل من رأس الدلتا حيث يتفرع فرعي رشيد ودمياط ، وإن كانت هذه الفكرة قد اقترحت من نابليون بونابرت إلا أنه يبقى في رصيد محمد علي وسجله التاريخي أنه هو الذي أخرج المشروع لحيز التنفيذ .

كانت فكرة القناطر الخيرية ببساطة تقوم على عمل سد على النيل من ناحية رأس الدلتا يقوم بحجز الماء الفائض من النيل ثم يتم تصريفه بنظام معين نحو الترع والرياحات المأخوذة منه لري الأرض الزراعية .وبالفعل بدأ العمل في إنشاء القناطر الخيرية في عهد محمد علي باشا ، غير أنه توفي قبل إتمام بنائها ، وتعطل العمل فيها بعد وفاته لا سيما اثناء حكم حفيده عباس الأول ، بحجة أن المشروع سيحتاج نفقات كبيرة لا تسعها ميزانية الحكومة . ليتم استكمال بناء القناطر الخيرية في عام ١٨٦١ في عهد محمد سعيد باشا والي مصر .

لينان دي بلفون
مهندس فرنسي وضع مشروعا لبناء قناطر على النيل

على باشا مبارك
مدير مصلحة الأشغال العمومية

وقد لعبت القناطر الخيرية وقت إنشائها دورا هاما في الاستفادة والتحكم في ماء النيل . فقد ساعدت على ري بعض الأراضي الزراعية طوال العام وزادت الرقعة المنزرعة منها ووفرت الكثير من النفقات المالية التي كانت الحكومة تنفقها في عمليات تطهير وتعميق الترع التي كان يلزم لإتمامها ما يقرب من مائة ألف مصري كانوا يعملون بالسخرة لأشهر طويلة لهذا الغرض .
وكما ذكر علي باشا مبارك «مدير مصلحة الأشغال العمومية» في كتابه الخطط التوفيقية عن فائدة القناطر الخيرية :
( إن بناءها وفر تقريبا خمسين ألف ساقية، لكل ساقية ثلاثة ثيران بإجمالي مائة وخمسين ألف ثور، فإذا كانت مدة دورانها ستة أشهر وكانت مؤونة الثور يوميا نص فرنك فالمتوفر منها ثلاثة عشر مليونا و خمسمائة الف فرنك ، عبارة عن خمسة وعشرين ألف جنيه ، ومن فائدتها أيضا إمكان استعمال الماء في إدارة دواليب الورش والمعامل )
كانت فكرة القناطر الخيرية هي إحدى وسائل الإنسان للتحكم في ماء النهر والاستفادة القصوى من مائه ، وقد وصف أحد المهندسين الأجانب الذين عملوا في خدمة الحكومة المصرية في الماضي وهو المسيو شيلو كبير مهندسي السودان القناطر الخيرية بقوله:
( إن مشروع القناطر الخيرية كان يعد في ذلك العهد أكبر أعمال الري في العالم قاطبة ، لأن فن بناء القناطر على الأنهار لم يكن بلغ من التقدم ما بلغه اليوم ، فإقامة القناطر الخيرية بوضعها وضخامتها كان يعد إقداما فيه شيء من المجازفة ) .
أما مسيو بادروا سكرتير عام وزارة الأشغال المصرية فقال :
( إن هذه اول مرة أقيمت فيها قناطر كبرى من هذا النوع على نهر كبير ) .

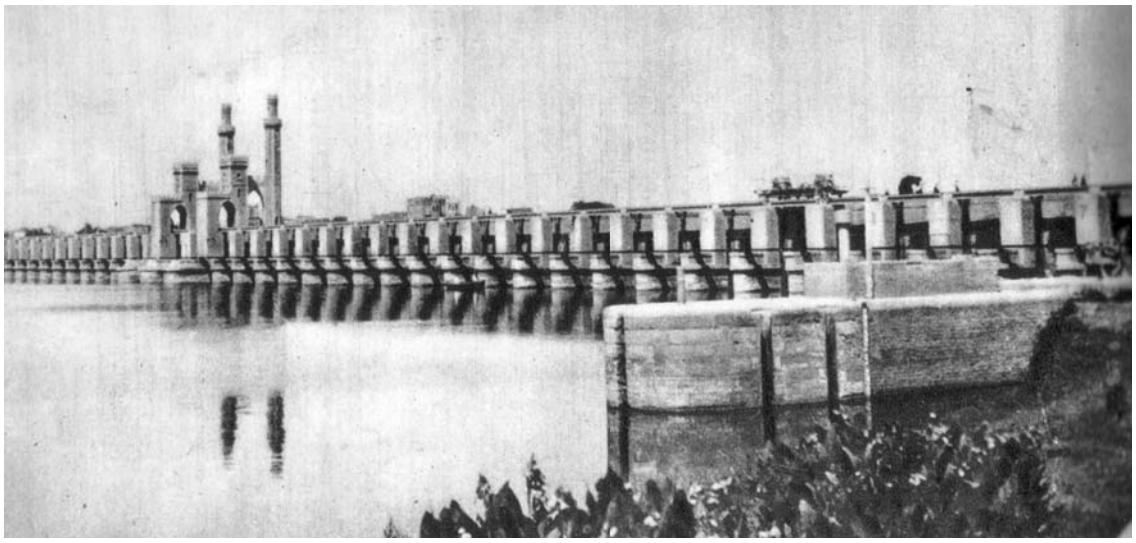

القناطر الخيرية

## " خزان أسوان "

ولنترك القناطر الخيرية لنذهب لمشروع آخر أقيم على النيل في مطلع القرن العشرين وكان من أهم المحاولات التي قام بها المصريون للتحكم في مياه النيل ألا وهو مشروع خزان أسوان . ومنذ أن احتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ وهي تضع نهر النيل ونظام الري في البلاد تحت المنظار ، وبالتأكيد لم يكن اهتمام سلطات الاحتلال البريطاني من أجل سواد عيون المصريين ولكن للأمر وجها آخر ، فبريطانيا دولة الاحتلال كانت تعي آنذاك أن مصر بلد زراعي في المقام الأول تحتل فيه زراعة القطن مكانا هاما إذ يشكل القطن أكثر من ربع الإنتاج المصري الزراعي فكانت إنجلترا آنذاك كانت تخطط للإستيلاء على محصول القطن المصري لتصديره إلى مصانع النسيج في إنجلترا حتى يتسنى إعادة تصديره في شكل منسوجات غالية الثمن .

وكان في مخططها العام أيضا الاهتمام بالزراعة وزيادة المحصولات الزراعية من أجل خدمة مصالحها الاقتصادية ،ومن ثم كان من الطبيعي أن يقع نظام الري والنيل تحت المراقبة البريطانية.

الخديوي توفيق احتلت
بريطانيا مصر في عهده

ونعود للباحث عبد العظيم سعودي الذي يقول :
( إنه باحتلال الإنجليز لمصر سنة ١٨٨٢ وبصرف النظر عن سنوات الإحتلال الأولى ، بدأ عهد جديد بالنسبة لإنشاء خزانات على النيل ، ويمكن أن نميز فيها ثلاث مراحل: المرحلة الأولى وتتسم بأنها فترة دراسة وبحث في أماكن متعددة على وادي النيل ذاته ووادي الريان في مديرية الفيوم، من أجل اختيار أنسب مكان لإنشاء خزان لحفظ ماء النيل وقت عدم الحاجة له لإعادة استخدامه للري . والمرحلة الثانية هي مرحلة تنفيذ إنشاء خزان على النيل ، ثم المرحلة الثالثة وهي محاولة حكومة الاحتلال إيجاد رصيد من مياه الري لتامين ري زراعة القطن والزراعات الأخرى في مصر ) .
نحن إذاً أمام مرحلة جديدة من مراحل وأشكال ترويض نهر النيل ومحاولة تحقيق أقصى فائدة من مياه الفيضان ، مرحلة جديدة في الشكل والمضمون. . فاما من حيث المضمون فنحن أمام فكرة إنشاء خزان على النيل أي "حصاله لادخار المياه" وهي فكرة أعمق وأكبر بكثير من فكرة إنشاء القناطر ، وأما من ناحية الشكل فهي محاولة لترويض النهر يقودها هذه المرة أجنبي محتل غريب ، وإن كان قد استعمل لتنفيذ فكرته الأيدي المصرية . . فدعونا نتعرف أكثر كيف كان التنفيذ ؟
المهندسون البريطانيون وضعوا العديد من التصورات الهندسية لفكرة بناء خزان على النيل ، كل هذه الأفكار كانت تصب في يد مهندس بريطاني يدعى وليم ويلكوكس ، الذي اقترح أن يتم إنشاء خزان على النيل في منطقة شلال أسوان ، ووضع تصوره للفائدة المرجوة على الزراعة من هذا الخزان في هذه المنطقة، ولم يكن خروج مشروع وليم ويلكوكس لحيز التنفيذ سهلا ميسورا بل صادفه عدد من العقبات ، لعل أبرزها التمويل المالي اللازم لهذا المشروع الضخم.

عباس حلمي الثاني
بني خزان أسوان في عهده

وبعد تخطي العقبات المالية اللازمة لتمويل المشروع ، عهدت الحكومة لشركة «الخواجه إيرد» لتنفيذ المشروع على أن يتم الانتهاء منه في الفترة ما بين أول مايو ١٨٩٨ حتي ديسمبر من عام ١٩٠٣ . وبالفعل بدأ العمل في خزان أسوان الذي كانت تكاليف بنائه في السنة الأولى فقط قد بلغت مائة الف جنيه مصري ، أما عن الأيدي العاملة في المشروع في السنة الأولى بلغت ٨٤١٠ عمال منهم ٧٠٢٦ عاملا مصريا ، و ١١١٤ من العمال الأوروبيين، ولم يتضح لنا تكاليف بنائه الكلية عن افتتاحه.

وهكذا تغير الحال . فالإنسان المصري البسيط الذي كان يقف أمام الفيضان مذهولا عاجزا ولا يملك سوى حمل قففا من التراب يقيم بها سدا بدائيا لعل وعسى يصد مجرى النيل عند الفيضان ، ماذا عساه يفعل الآن ؟ إنه يشارك في بناء سد عظيم على النهر ، يساهم في بناء خزان أسوان المرعب.

ولنتأمل ما كتبه البعض عن خزان أسوان . . الذي تم افتتاحه رسميا عام ١٩٠٢.

كتب اللورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر عام ١٩٠٣ عن خزان أسوان في تقريره السنوي ( لولا الماء المخزون في الخزان لقاست البلاد الشدائد في إنقاذ الزراعة الصيفية من الغرق بسبب انخفاض النيل انخفاضا فاق المعتاد ، وقل الماء فيه حتى منتصف مايو . فإن الخزان أمد مصر الوسطى والوجه البحري بالماء الكافي قبل أن كان الماء يصل إليه بشهر، وتم تخفيف المناوبة على الترع في أول يوليو، ولولا الخزان لتأخر تخفيفها ، ورخص للمزارعين بزرع الذرة قبل أوان زرعها المعتاد بشهر ، ورخص لهم بزراعة الأرز في كل مكان ورويت زراعة القطن كلها رواء كافيا ) .

أما الكاتب الألماني إميل لودفيج فكتب عن الأثر الاجتماعي والاقتصادي من إنشاء خزان أسوان :

( ومن نتائج إنشاء خزان أسوان أن أسفرت زراعة القطن في مصر العليا عن ارتفاع قيمة الأرض بنحو ألف وثماني مائة جنيه لكل كيلو متر مربع وذلك بتكلفة عام ١٩٢، وهكذا يبدو أثر خزان أسوان على البلاد وخاصة في مصر العليا) ، يكمل إميل لودفيج أيضا: (إنه لو أقيم خزان أسوان في القرون القديمة لعد من عجائب الدنيا وهو من عجائب العالم في هذا الزمن أيضا ) .

وبعدُ أيها السائر على ضفاف النيل . . أيها المستهزئ بحرمة النيل . . أيها الغافل عن عظمة النيل . . أيها الشارب من ماء النيل . . أيها المنتظر لخير النيل . . ما كان النيل ليصل إليك اليوم هكذا هادئا وديعا رقراقا إلا بعد قصة صراع طويل بينه وبين أجدادك من المصريين البسطاء حاولوا فيها ترويض النهر ذكرنا لك منها القليل ولكن هناك المزيد من التضحيات والآلام والمواجهات كانت ومازالت لترويض هذا النهر البكر الناضح بالحياة.

وإن كانت مصر هي آخر الدول التي يصل إليها النيل فإننا لا نستطيع أن نغفل ما قامت به دول حوض النيل من جهود لترويض النهر فكانت تنشيء القناطر والخزانات على طول مجرى النيل للسيطرة على حركة المياه وكان هناك معاناة كثيرة تم التغلب على بعضها وبقي منها الكثير.

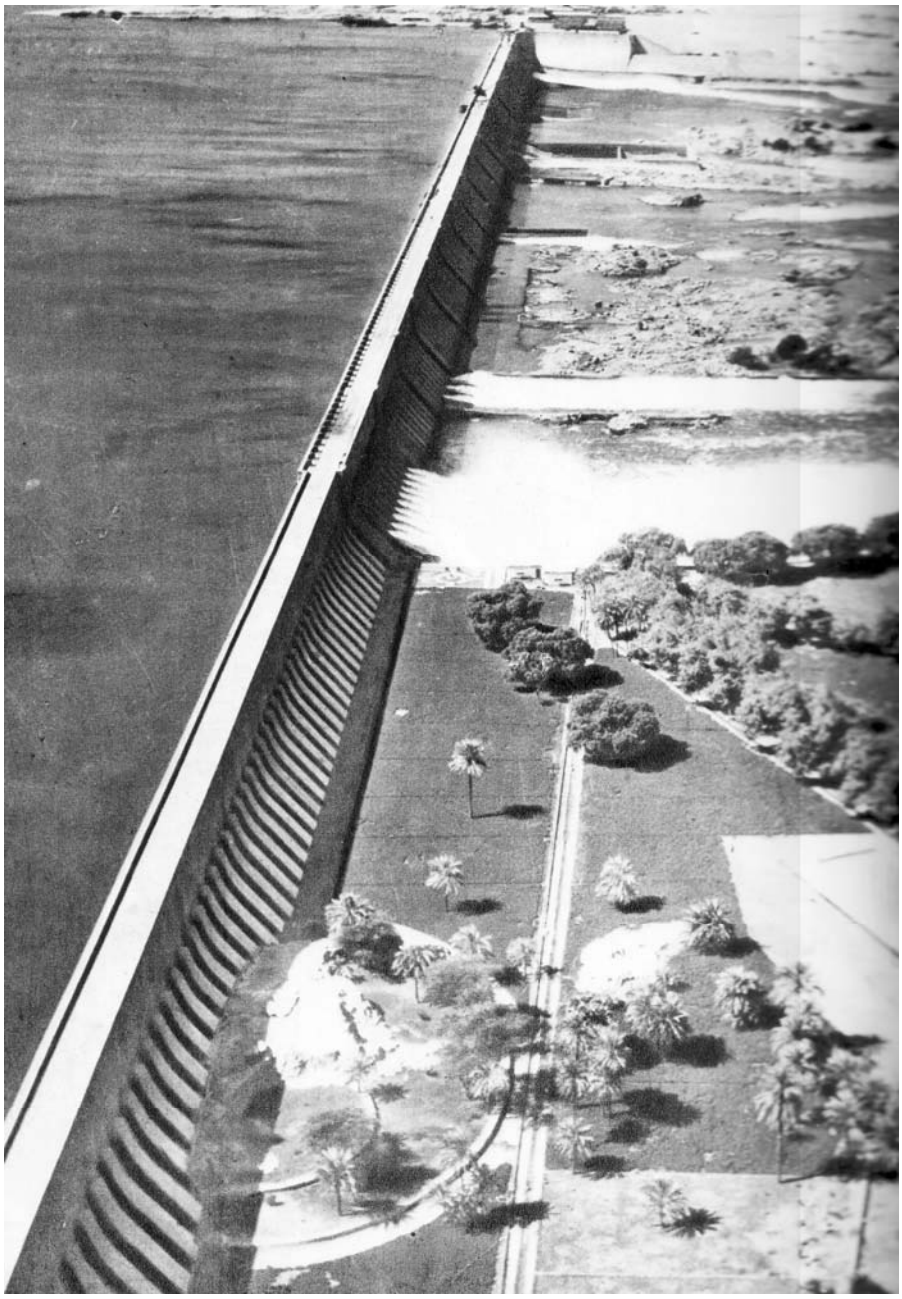

خزان أسوان أحد أهم المشروعات التي أقيمت في القرن العشرين
على النيل للتحكم في مائه

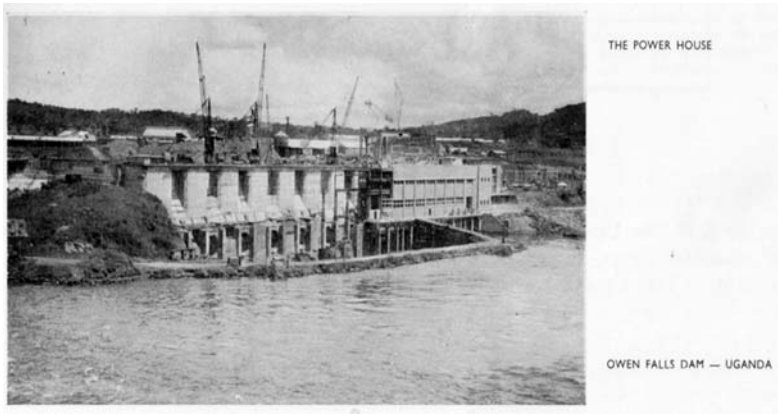


محطة الطاقة - سد شلالات أوين - أوغندا

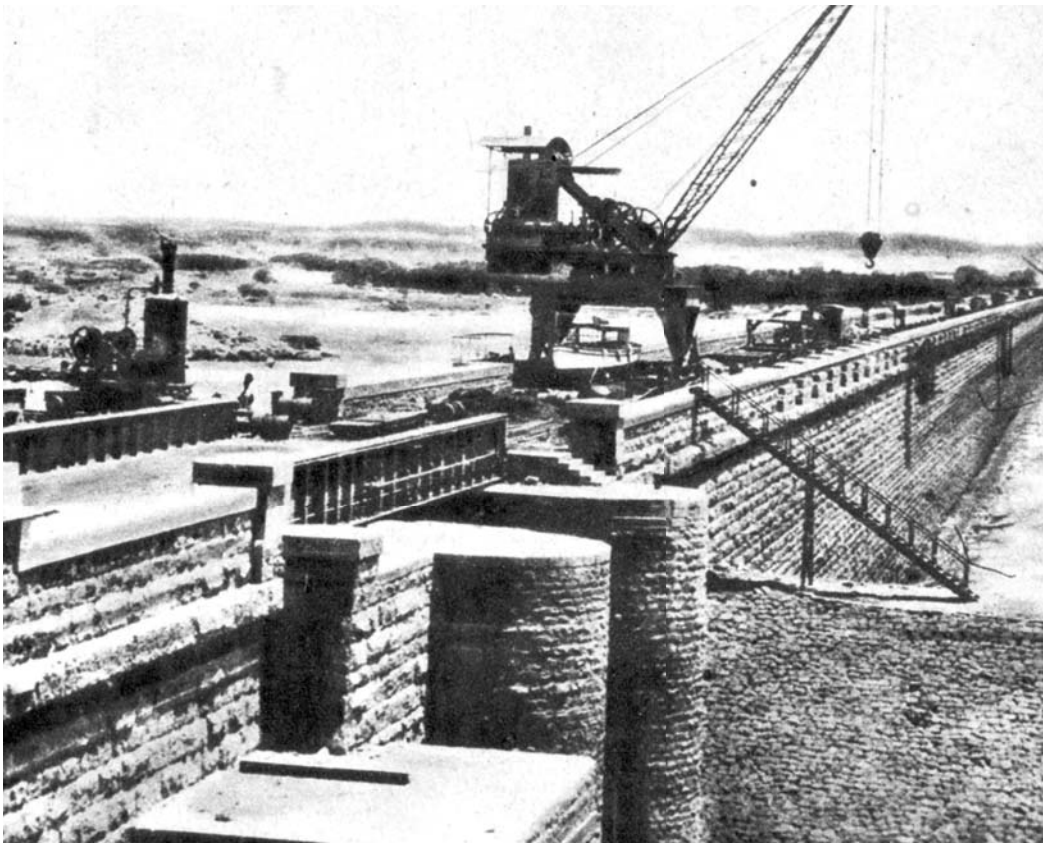

تعلية خزان أسوان

## الفصل الثاني

# أين اختفى صديق النيل ؟

يستيقظ مبكرا مع شروق الشمس يرتدي ملابسه يحمل قربة فارغة على ظهره يخرج من بيته . . في مشيته انحناءة بسيطة . . يسير في الشوارع المتعرجة . . يتمتم ببعض الأدعية . . يمشي نحو شاطئ النيل يقترب منه . . ويقترب أكثر حتى تلامس قدماه صفحة الماء على شاطئ النيل ، ينحني بجسده نحو النيل كمن ينحني لعظيم أو أمير باحترام وإجلال ، يملأ القربة بماء النيل العذب . . يرفعها مرة اخرى على ظهره ليزداد إنحناء . . تتساقط من القربة قطرات من الماء لتلامس الأرض . . وقبل أن تلامس الأرض تعانق أشعة الشمس الذهبية ، يتجول في طرقات المدينة كأنه مرسال جاء من عند صاحب الفخامة «النيل» يعرض بضاعته من مائه العذب على الناس ، يسقي هذا ويملأ الماء لتلك .

وبعد هل عرفتموه ؟ إنه السقا . . . انه صديق النهر الذي كان يوما ما يلعب دور الوسيط بين النيل وعامة المصريين، لا سيما أهالي القاهرة الكرام ، هي حرفة بسيطة لا تدر مالا كثيرا ، ولكنها في نهاية الأمر نشأت على ضفاف النيل، تمثل صورة من صور علاقة الإنسان المصري بالنهر .

ولنرجع إلى القرن الثامن عشر حيث كان أهالي القاهرة يعتمدون في سد احتياجاتهم من الماء على عدة مصادر ،إما من ماء النيل مباشرة أو باستعمال مياه الخليج المصري الذي كانت تغمره المياه لمدة ثلاثة أشهر عقب الفيضان (مكان هذا الخليج الآن هو شارع بورسعيد بالقاهرة) كما كانت هناك المياه الجوفية وماؤها الذي لا يصلح للشرب ولكن كان يستخدم للأغراض المنزلية الأخرى.

في ذلك الوقت كان السقاءون منوطا بهم جلب الماء العذب من النيل أوالخليج المصري لتوزيعه على أهالي القاهرة، فكان منهم من يحمل الماء على ظهور الحمير،ومنهم من يحمله على ظهور الجمال لمنازل الأهالي،كما كانت هناك طائفة منهم تبيع الماء لراغبي الشرب من الناس السائرين في الشوارع، وكانوا يطلقون على هذه الطائفة الأخيرة "السقا شربة" .

كان السقا شربة هذا الذي يزود المارة من الناس بالماء، يحمل قربة لها أنبوبة نحاسية طويلة يصب منها الماء للظمأى في أبريق نحاسي أو قلة من الفخار ،ومنهم من كان يحلى الماء بماء الزهر المقطر، أو يضع على فوهة الإبريق غصنا من النارنج ليعطي الماء حلاوة لا تقاوم ،أما عن الأجرة التي كان يتقاضاها هذا السقا فهي ما بين قطعة إلى خمس قطع نقود فضية لو كان الشارب من أبناء الطبقة العليا أو المتوسطة حسب مظهره وملابسه ،أما إذا كان من الفقراء وبسطاء الناس فهو لايتقاضى منهم شيئا ، ولو أنعموا عليه بشيء فقد يكون خبزا أو طعاما يضعونه له في جراب يحمله في وسطه ،وكان للسقا شربة نداء جميل يردده دائما أثناء سيره وهو "عوض الله . .عوض الله " .

أما الطوائف الأخرى من السقائين التي كانت تحمل قرب الماء على ظهور الحمير والجمال لتوزعها على منازل أهالي القاهرة، كان يتقاضى الواحد منهم ثمنا لقربة الماء التي يحملها مسافة ٣ كيلو مترا من عشر الى ثلاثين قطعة من الفضة .

السقا زمان كان يلعب دور هاما في توزيع ماء النيل على أهالي القاهرة

عباس حلمي الثاني

وإذا كان هذا هو الدور المعروف للسقا لتوزيع ماء النيل العذب على أهالي القاهرة، فربما لايعرف الكثيرون أن للسقا في وقت ما دورا آخر لا يقل أهمية ، فقد كان يلعب دور رجل المطافئ بما يحمله على ظهره أو ظهر الدواب من قرب الماء ، حتى أنه تمت الاستعانة بهم لإخماد حريق بالقلعة عام ١٨٢٠.

هذا فيما كانت الحكومة المصرية تتدخل دائما لتنظيم عمل السقايين بإصدار الأوامر أو اللوائح الملزمة لهم مثل باقي أصحاب الحرف الأخرى ، فنرى مثلا لائحة السقايين الصادرة عام ١٩٠٧ في عهد الخديو عباس حلمي الثاني ، والتي قررت أن كل مخالفة لها يعاقب فاعلها من السقايين بغرامة مائة قرش أو الحبس أسبوعا .

إذا كان السقا في يوم من الأيام حالة من حالات تفاعل الإنسان مع النيل. . وهي حرفة نشأت على ضفاف النيل ليصبح ماء النيل العذب مصدر رزق لطائفة من البسطاء ويتعايشون منها ويطعمون أنفسهم وذويهم من رزقها ، فهم يجوبون الشوارع ويترددون على المنازل، ويسقون الظمأى من ماء النيل المحلى بماء الزهر أو عود من نبات النارنج .

ولم تعد مهنة السقا موجودة بيننا الان فقد اختفت وذابت في مظاهر المدنية الحديثة. اختفى "صديق النهر "حامل قربة الماء ،فكيف انقرضت هذه المهنة؟ هذه قصة اخرى نرويها في الصفحات القادمة.

خديوية جليلة مصرية

## ■ لائحة السقايين ■

**■ لا يجوز للسقايين أن يأخذوا من الأهالى أجرة أكثر من ٢,٥ مليم عن كل قربة**

**■ كل مخالفة من نصوص اللائحة يعاقب فاعلها بغرامة ١٠٠ قرش أو الحبس أسبوع**

### مدير بنى سويف

بعد الاطلاع على قرار القومسيون البلدى لمدينة بنى سويف بتاريخ ٢ فبراير سنة ١٩٠٧ الموافق ١٩ ذو الحجة سنة ١٣٢٤.

### قرر ما هو آت

**(المادة الأولى)**

لا يجوز للسقايين أن يأخذوا من الأهالى عن أجرة نقل المياه أكثر من مليمين ونصف عن كل قربة للدورين الأرضى والأول.

أما للأدوار العليا بعد الدور الأول فتزاد تلك الأجرة نصف مليم آخر أى تكون ٣ مليمات ويؤخذ نصف هذه الأجرة عن النصف قربة.

**(المادة الثانية)**

لا يجوز للسقايين أن يستعملوا القرب التى تكون حمولتها ٦٧ لترا أو أنصاف القرب التى تسع ٣٣ لترا وكل هذه القرب يجب أن تعاير بمعرفة المجلس البلدى ويختم عليها ببصمة المراجعة.

**(المادة الثالثة)**

يجب على كل سقا أن يكون متحصلا على رخصة من المجلس البلدى وحاملا لنمرة متسلسلة مكتوبة أرقامها باللغتين العربية والأفرنجية.

**(المادة الرابعة)**

يجب على السقايين اتباع كافة الأوامر التى تتقرر فيما يختص بالصحة العمومية.

**(المادة الخامسة)**

كل مخالفة لهذه النصوص يعاقب فاعلها بغرامة لا تزيد عن ١٠٠ قرش صاغ أو بالحبس مدة لا تتجاوز الأسبوع، وإذا تكررت المخالفة ثلاث مرات فى سنة واحدة فيكون للمجلس البلدى الحق أن يسحب الرخصة من المخالف.

**(المادة السادسة)**

يكون هذا القرار نافذ المفعول بعد ٣٠ يوما من تاريخ نشره فى الجريدة الرسمية.

تحريرا ببنى سويف فى ٢ مارس سنة ١٩٠٧ الموافق ١٧ محرم سنة ١٣٢٥.

(عبدالرحمن فهمى - مدير بنى سويف)

**لائحة السقايين صدرت في عهد عباس حلمي الثاني**

" عباس الأول و ماء النيل "

كان التفكير دائما لدى حكام مصر، هو إيجاد وسيلة أكثر سهولة لجلب المياه لأهالي القاهرة تتماشى مع مظاهر التطور والمدنية التي تشهدها البلاد ، ففي عهد محمد علي باشا كانت هناك عدة محاولات لحفر ترعة أو خليج ينقل مياه النيل لأهالي القاهرة في الأماكن المرتفعة ولكنها لم تسفر عن شيء .

وفي عهد حاكم مصر عباس حلمي الأول كانت هناك محاولة أكثر جدية ، تطلعنا عليها بعض المصادر التاريخية التي تروي لنا أن عباس الأول حاول توزيع مياه الشرب على أهالي القاهرة باستعمال بعض الآلات الرافعة للمياه وتوزيعها في مواسير داخل البلد وبالفعل بدأ المهندسون في تقدير تكاليف المشروع والتي قدروها وقتها بمبلغ مائة وثلاثين ألف جنيه، غير أن عباس استعظم هذه التكاليف وصرف النظر عن المشروع.

هذا ولم تكن الصعوبة فقط في كيفية وصول ماء النيل لأهالي القاهرة بطريقة أكثر سهولة ، بل كانت طريقة جلب المياه من النيل في ذلك الوقت ، تقف أحيانا عقبة في سبيل تنفيذ بعض المشروعات الطموحة ، ومثال ذلك حينما أراد عباس الأول أن يعمر منطقة صحراء الحصوة ويهيئها للسكنى ، كانت أهم عقبة هي جلب الماء من النيل لهذه المنطقة .

ففي عام ١٨٤٩ أصدر الوالي عباس أمرا لرئيس مجلس الأحكام المصرية جاء فيه:

(غني عن التفصيل والبيان أن أبنية موطننا العزيز مدينة القاهرة ليست على الطراز الحديث وأن المساكن الموجودة فيها قديمة ومشرفة على الخراب، حيث إن البلاد و ما حولها في أمن وأمان وأمراؤها كلهم من أصحاب الثروة واليسر، حيث إن صحراء الحصوة ممتازة معروفة بجودة هوائها، فيجب في هذه الحالة إقامة العمار بها والإقامة فيها والاستفادة والتمتع من لطافتها وبهائها ، لهذا فقد صدرت إرادتنا بعد عودتنا من الأستانة لوضع خريطة وافية لهذه الصحراء وتقسيمها قطعا أساسية وتوزيعها على أمراء وذوات مصر، ليبني كل واحد منهم قصرا فخما لنفسه ) .

عباس حلمي الأول
حاول توصيل ماء النيل لأهالي القاهرة عبر مواسير ولكن لم يتم المشروع

كان عباس يرى أن تعمير صحراء الحصوة فيه صعوبة بالغة فهي منطقة صحراوية جبلية لا يصل لها الماء، وبطبيعة الحال لن يصل إليها حتى السقايين، فعمد عباس إلى أساليب الترغيب والترهيب من أجل إعمار هذه المنطقة بمخاطبة الأمراء وأصحاب المال قائلا (إنه إذا اعتقدوا أن صرف الأموال على قطعة من الجبل خسارة فإني جربت بنفسي هواء الحصوة وشعرت بفائدته ، فلذلك لأجل الصحة العمومية أردت عمارتها بإنشاء الأبنية والقصور ) . .ثم يعود عباس متوعدا مهددا ليقول: "إنه ومن يتأخر عن الامتثال بعد هذه الإرادة في المدة المعنية، فعلى المجلس تعيين جزاءه، لأن ذوات مصر تعودوا أن يلاقوا المعاملة بالشدة وإنزال الجزاء عليهم ولا يدركون معنى ابتهاج الوجهة ولطف المعاملة " .

كان أمراء وأغنياء مصر المخاطبون بأوامر أفندينا الوالي عباس لتعمير صحراء الحصوة يتساءلون ويتهامسون فيما بينهم كيف نسكن الصحراء . . ؟كيف تصل إلينا المياه !

على أي حال كان لعباس الأول والي مصر الفضل في تعمير صحراء الحصوة وإنشاء حي جديد على حدود القاهرة الذي نعرفه اليوم باسم حي العباسية . .نعم صحراء الحصوة التي عمرها هي العباسية والتي سميت على اسم أفندينا عباس الذي بدأ في تعميرها في غيبة ماء النيل، وربما نتخيل أن الأولين الذين عمروا وسكنوا هذه المنطقة الصحراوية كلما استبد بهم العطش تذكروا ذلك السقا البسيط حامل قربة الماء المحلى بماء الزهر . .أو عود النارنج الجميل .

" الخديوى إسماعيل و شركة المياه "

وما إن جلس الخديو إسماعيل على عرش مصر حتى بدأت البلاد تتهيأ لترتدي ثيابا جديدة لتبدو مصر أكثر جمالا وإشراقا ،كان إسماعيل مفتونا بكل ما هو أوروبي، يحلم بأن تصبح مصر نسخة كربونية من أوروبا ، وفي سبيل ذلك سلك كل مسلك ورأت البلاد لاسيما القاهرة من ابتكارات رجال إسماعيل الإنشائية والمعمارية والجمالية ما لم تراه من قبل ،مثل الكباري والأوبرا ورصف الطرق والإنارة وغيرها .

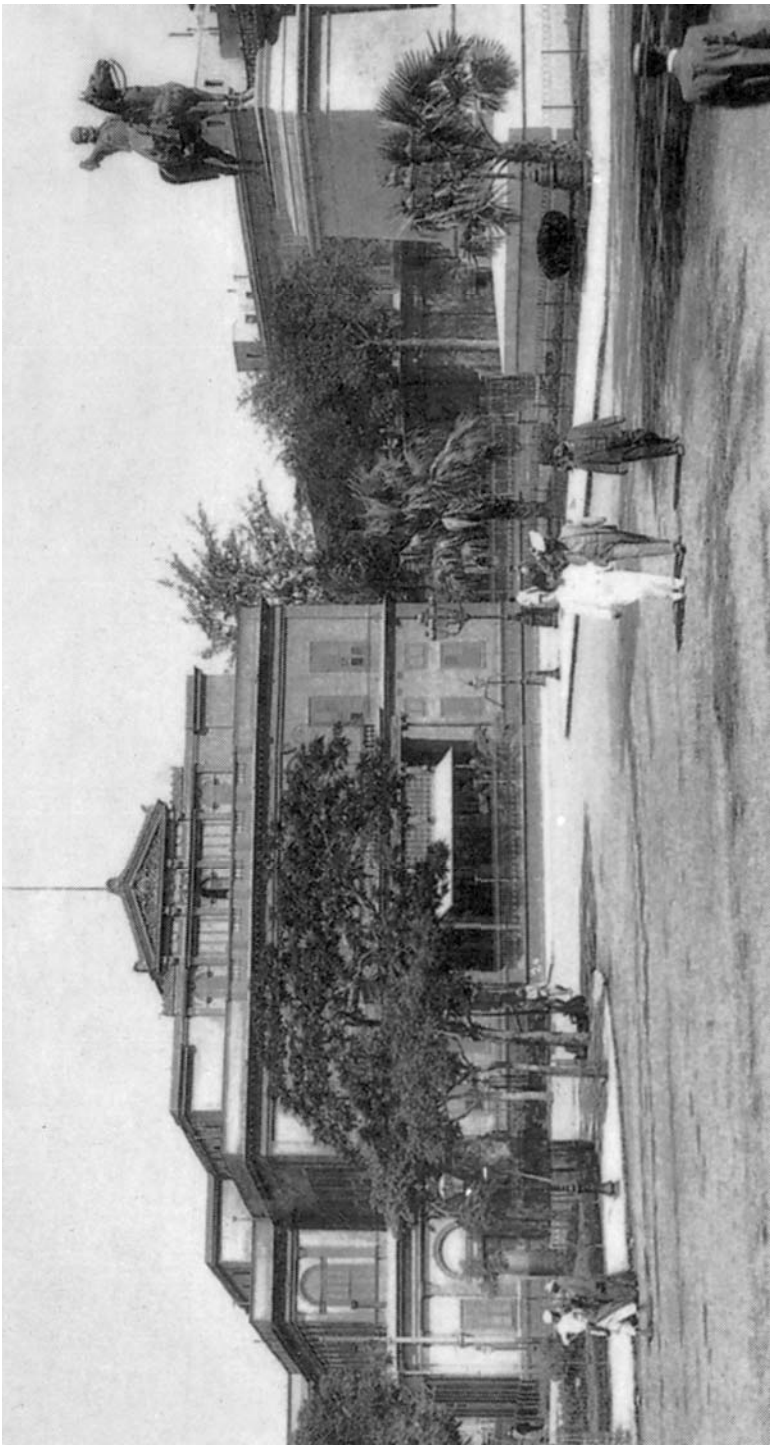

الأوبرا أحد اخازات الخديو إسماعيل

كانت المياه والإنارة من الأشياء المهمة التي لمستها عصا المدنية السحرية في عصر الخديو إسماعيل ، لتبدأ معها مرحلة جديدة من التطور الرائع ، ففي مايو من عام ١٨٦٥ أصدرت الحكومة المصرية ترخيصا لاستغلال عملية توزيع مياه النيل في مدينة القاهرة وضواحيها بواسطة الآلات، وقد أعطى هذا الامتياز لشخص يدعى مسيو كورديبه .
وبناء عليه تم تأسيس شركة مساهمة باسم "شركة مياه القاهرة" برأسمال قدره خمسة ملايين فرنك ، وتم الاتفاق على أن يظل هذا الامتياز ساريا لهذه الشركة مدة ٩٩ عاما تبدأ منذ تاريخ صدور فرمان الامتياز ، وكان من بين شروط الامتياز أن تحتفظ الحكومة المصرية بحقها في شراء الشركة بعد مرور ٢٥عاما من صدور فرمان الامتياز ، وفي كل الأحوال تؤول كل ممتلكات الشركة دون مقابل للحكومة المصرية بعد انقضاء أجل الامتياز.
نحن الآن أصبحنا أمام علاقة جديدة بين الإنسان والنهر ، أصبحت بينهما آلات ترفع إليه الماء ،التي جلبها ذلك الأجنبي الوافد وفي جعبته مظاهر المدنية الحديثة .
وبعد . . هل لازلتم تتذكرون السقا ! ؟ ذلك البسيط حامل قربة الماء من النيل المحلى بماء الزهر. . أو عود النارنج . . على ما يبدو لي أننا نسيناه وسط ملايين الفرنكات المدفوعة والاتفاقيات المبرمة والامتيازات الممنوحة لذلك الأجنبي الذي جاء بقوته ليزاحم السقا حامل قربة الماء في لقمة العيش ، والأهم أن يزاحمه في توزيع ماء النيل على أهالي القاهرة الكرام.
وإن كانت هذه سنة الحياة وضريبة المدنية الحديثة ، ولكن يخيل لي أن السقا لم يستسلم بسهولة رغم أن المنافسة غير متكافئة، ولكنه سوف ينافس ولو لفترة بسيطة قبل أن يختفي صوته تماما وهو يصيح "عوض الله . .عوض الله"
إن إنشاء شركة توزيع ماء النيل على أهالي القاهرة عبر المواسير كان تقدم رائع بكل المقاييس في التفاعل مع ماء النيل بطريقة أسهل.

# شركة مياه القاهرة

(SOCIÉTÉ ANONYME DES EAUX DU CAIRE.)

مصرية الجنسية

تأسست بالقاهرة بتاريخ ١٧ مايو سنة ١٨٦٥ لمدة ٩٩ سنة [١]

مركزها الرئيسي والإدارى فى القاهرة .

تنتهى سنتها المـالية فى ٣١ ديسمبر وتنعقد الجمعية العمومية فى أثناء شهر مارس .

## مجلس الادارة

(رئيس) صاحب السعادة على الشمسى باشا

| | |
|---|---|
| صاحب السعادة أراكيل نوبار باشا | البارون لويس دى بنوا |
| صاحب المعالى محمود فخرى باشا | صاحب المقام الرفيع شريف صبرى باشا |
| صاحب السعادة صادق حنين باشا | |

(مندوب الحكومة) صاحب العزة سنى اللقانى بك

( مندوب وزارة الصحة العمومية ) صاحب العزة الدكتور على توفيق شوشه بك

(مدير عام) صاحب السعادة صادق حنين باشا

**المراقبون الحسابيون** ل. ليفرير ، مارتن هاموند

## عمل الشركة

انشاء واستغلال عملية توزيع ميـاه النيل فى مدينة القاهرة وضواحيها بواسطة الآلات والأنابيب والمرشحات والخزانات .

## نبذة عن الامتياز

فى ١٧ مايو سنة ١٨٦٥ نال المسيو م . ج . ا كورديه بك المهندس حق امتياز عملية توزيع مياه النيل فى مدينة القاهرة وضواحيها وقام بتأسيس شركة مساهمة مصرية باسم "شركة مياه القاهرة" وتنازل لها عن هذا الامتياز .

وقد حدد أجل امتياز الشركة بمدة ٩٩ سنة تبتدئ من ٩ أبريل سنة ١٨٧٠ وهو التاريخ الذى استلمت فيه الفرمان الخاص بعقدى الامتياز والتأسيس .

وقد حفظت الحكومة لنفسها الحق فى شراء المؤسسة بعد ٢٥ سنـة من تاريخ صدور الفرمان أى ابتداء من ١٠ أبريل سنة ١٨٩٥ على أن يكون هذا الشراء اذا حدث محسوبا على أساس متوسط ايرادات الشركة فى السنوات الثلاث الأخيرة وبفائدة ٦ ٪

(١) تبتدئ من ٩ أبريل سنة ١٨٧٠ وهو التاريخ الذى استلمت فيه الشركة الفرمان الخاص بعقدى الامتياز والتأسيس .

"شركة المياه وماء النيل"

لم يكن إعطاء مسيو كورديبه حق امتياز إنشاء شركة مياه القاهرة يعني أنه ليس تحت سيطرة الحكومة المصرية، بل إن الحكومة تراقب عمله جيدا وتتدخل على أعلى المستويات في بعض الأحيان للتوجيه أو لإصلاح بعض المشاكل.

ولنقرأ الأمر الصادر من الخديو إسماعيل لشركة المياه عام ١٨٧٣ والذي جاء فيه:

(إن أكثر سكان مصر المحروسة يأخذون المياه من صنابير شركة المياه بسبب سهولتها ورخص ثمنها ،حيث إن آلات هذه الشركة قائمة على ترعة الإسماعيلية، وأن المياه التي ترد للبلد بواسطتها هي من هذه الترعة وليست من مياه النيل الأصلية، وهي بطبيعة الحال لاتضاهي مياه النيل في اللذة والعذوبة، وحيث إن استعمال المياه من الأشياء الصحيحة الضرورية بالنسبة لعامة الأهالي ،وبحيث إن استراحة الأهالي وطمأنة بالهم من جهة المياه التي يستعملونها غاية ملتزمة لدينا ، فبناء عليه اقتضى الأمر البحث عن وسيلة أخرى توجب هذا اليسر وهذه السهولة، وأرى أنه إذا أنشئ مجرى بين نهر النيل والمحل المركبه فيه آلات الشركة ، ووضعت آلة بخارية على فم هذا المجرى عند الاقتضاء كان ذلك كافيا وحيث إن هذه العملية تحتاج لمدة طويلة وإن الضرورة تحتم اتخاذ وسيلة ضرورية عاجلة، وبناء عليه ولحين إنشاء المجرى المذكور إذا ركبت آلات لتوصيل مياه النيل بآبار الشركة والمصاريف المقدرة لتركيب هذه الآلات المؤقتة وتشغيلها ولحفر وإنشاء المجرى المذكور فيما بعد تبلغ خمسمائة وخمسين ألف فرنك . وأن شركة المياه والحال كذلك لاتملك النقود الكافية وبناء عليه فهي عاجزة عن القيام بمثل هذه العمليات العظيمة ، وحيث إن عذوبة الماء هي أهم الاحتياجات الضرورية لسهولة حصول الأهالي عليها ومقتضي إرادتنا فبناء عليه . .قد استحسنا صرف المبالغ اللازمة لإجراءات الإنشاءات والأعمال الواردة في بيانكم سالف الذكر من خزانة دائرتنا، وحيث إن نصف أسهم دائرتنا البالغ قدرها ألفين ومائتي سهم والمودعة في صندوق الشركة المذكورة بصفة أمانة والمعتبر كل سهم منها بخمسة مائة فرنك سيكفي تكاليف العمليات، فبناء عليه قد تنازلت عن نصف الأسهم المذكورة بشركة المياه بشرط أن تتم العمليات والإنشاءات اللازمة في هذا الباب

السقا يملأ المياه من حنفية عمومية في تطور لطبيعة عمله

فعندما تحيطون علما بذلك يجب أن تبادروا بصرف المبلغ الذي وهبناه لرفاهية وراحة الأهالي في إنجاز الأعمال المذكورة خاصة، وببذل الهمم والمساعي في حصول هذا القصد الخيري، ولذلك أصدرنا أمرنا هذا وأرسلناه لكم) .

ومن هذا الأمر نرى كما ذكرنا من قبل أن عمل شركة مياه القاهرة كانت في النهاية تحت منظارالحكومة المصرية كما يلفت نظرنا في حرص الخديو إسماعيل على أن تقوم شركة مياه القاهرة برفع المياه وتوصيلها للأهالي عبر الانابيب مباشرة من النيل، ولأن مياه ترعة الإسماعيلية رغم أنها تخرج من النيل إلا أنها على حد قول الخديو مياهها لا تضاهي مياه النيل في اللذة والعذوبة .

تلك اللذة و العذوبة التي كانت يوما تعانق ماء الورد . . أو عود النارنج الأخضر. . فيعطي الماء مذاقا لا ينسى على يد السقا حامل قربة الماء ، التي كانت تمر مياه النيل من قربته لأفواه المصريين مباشرة، كما لو أن أفواههم تُقبّل ماء النيل ، أما وقد وصلت المياه إليهم عبر أنابيب شركة المياه، فهل ماء الورد وعود النارنج والسقا حامل قربة الماء أصبحت طي النسيان. . ربما !

هذا وفيما كانت شركة مياه القاهرة يوما بعد يوم وعاما بعد عام تزداد أعمالها توسعا وانتشارا ويزداد اعتماد الأهالي عليها لوصول الماء فكانت تكسب كل يوم أرضا جديدة . . . ففي عام ١٨٧٧حصلت من الحكومة المصرية على امتياز جديد خاص بمباشرة واستغلال مؤسسة المياه بالعباسية التي كانت ملكا للحكومة المصرية .وفي عام ١٨٨٠ حصلت على امتياز جديد من الحكومة لتوزيع مياه النيل بواسطة الأنابيب في مدينة أسيوط بصعيد مصر.

وفي عام ١٩٠٢ حصلت على امتياز آخر لتوزيع مياه الآبار في كل من ضاحية القبة والزيتون والمطرية .فيما كان السقا حامل قربة الماء الذي كان يسقي الناس من ماء النيل العذب ،يكاد يختفي ثم يتلاشى ويذوب. .ويختفي من بعده نداؤه الجميل "عوض الله . . عوض الله"

السقا زمان

# الفصل الثالث

## "حين غاب النيل عن حياة المصريين"

ماذا لو غاب النيل عن حياتنا . . ماذا لو جفت مياهه المتدفقة؟ ! الإجابة عن هذه الأسئلة ربما لا تحتاج منا نظرة أو تخيلا إلى المستقبل أكثر مما تحتاج لنظرة إلى الماضي نحو التاريخ الذي اهملنا قراءته لنعرف منه الإجابة .

لنرجع إلى الوراء إلى عهد حاكم مصر سعيد باشا ، في عهد هذا الوالي بدأ تنفيذ واحد من أهم المشروعات التي عرفتها الإنسانية في القرن التاسع عشر. ألا وهو حفر قناة السويس ، بعد أن حصل المغامر الفرنسي فرديناند ديليسبس من صديقه الوالي محمد سعيد على إمتياز بحفر القناة ، كان مشروع حفر قناة السويس يعني ببساطة اختراق صحراء قاحلة جرداء هي صحراء السويس لشق قناة ملاحية تصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر .

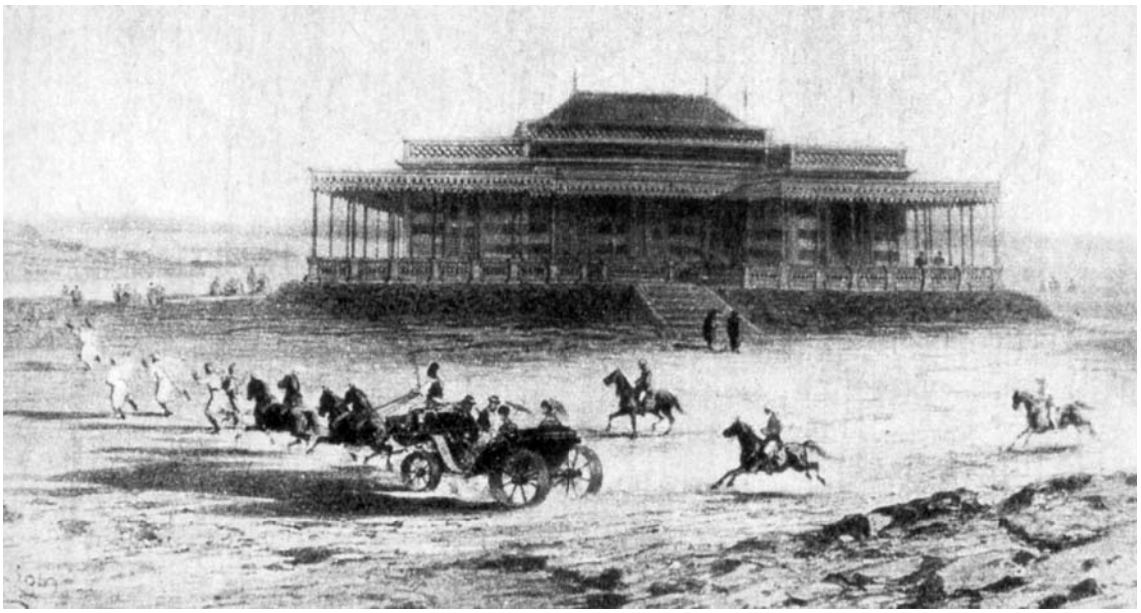

مبنى ادارة القنال وقت العمل بالمشروع

كان التحدي الأكبر في هذا المشروع يتمثل في أمرين : الأول هو جلب الأيدي العاملة اللازمة لحفر القناة ، والثاني هو توفير مورد مياه يغذي مناطق العمل في هذه الصحراء ليستخدم في نقل المعدات والري والشرب .فكيف تصرفت الشركة القائمة على تنفيذ مشروع حفر قناة السويس لتوفير المياه اللازمة؟

كان الاتفاق في صلب عقد الامتياز الذي منحه والي مصر محمد سعيد باشا لمسيو ديليسبس أن تقوم الشركة المسؤولة عن مشروع حفر القنال قبل البدء في تنفيذ المشروع بحفر ترعة للمياه العذبة تستخدم في جميع الأغراض من ري وملاحة نهرية تخرج من النيل في القاهرة ، ومن هذه الترعة يسقى آلاف العمال المشتغلين في الصحراء الجرداء ، وعليه كان الحل لمواجهة ندرة المياه في الصحراء يكمن في ذلك الساحر العظيم . .النيل ذلك الشريان المائي النابض في قلب القاهرة، بأن يخرج منه فرع مائي آخر يغذي آلاف العمال في الصحراء .

وهو حل منصوص عليه في عقد الامتياز . . وكان الاتفاق على أن تتولى الحكومة المصرية . . حفر ترعة المياه العذبة الخارجة من النيل على نفقة الشركة المسؤولة عن حفر القناة .

كانت الامور تسير في بادئ الأمر بصورة طبيعية بل إن الوالي محمد سعيد باشا تكرم وأصدر أوامره بالبدء في حفر ترعة المياه العذبة مع توفير كافة الإمكانيات اللازمة لحفرها .

محمد سعيد باشا (صدر في عهده امتياز حفر قناة السويس)

ومع حلول عام ١٨٥٦ كان سعيد باشا يتخذ التدابير النهائية لحفر ترعة المياه العذبة الخارجة من النيل، حتى أنه استورد من إنجلترا المهمات اللازمة لتنفيذ المشروع ، وبدأ المهندسون في وضع علامات على الأرض لتحديد خط سير الترعة .
من ناحية أخرى كان ديلسيبس يحث الوالي سعيد باشا على المضي قدما في حفر ترعة المياه العذبة فأرسل له خطابا يقول فيه (إن العالم كله يمتدح سموك لشروعك في حفر ترعة الماء العذب) ولكن للأسف النوايا الطيبة وحدها لا تصنع الأحداث . . فجأة توقف مشروع حفر ترعة المياه العذبة التي تخرج من نهر النيل لخدمة مشروع حفر قناة السويس وخدمة آلاف العمال المسخرين له في الصحراء القاحلة والسؤال لماذا ؟

" لعبة السياسة وأرواح العمال "

الإجابة بإختصار . . إنها لعبة السياسة التي تنسحق تحتها دائما رءوس البسطاء من البشر ولا تعرف العواطف أو المشاعر ، ففي الوقت الذي كانت فيه الحكومة المصرية كما رأينا تعد العدة لحفر ترعة المياه العذبة كانت تدور في أوروبا رحى حرب سياسية بين إنجلترا وفرنسا فقد كانت إنجلترا تنظر بعين الشك والريبة نحو اتجاه الفرنسيين لحفر قناة السويس وتعتبر المشروع برمته اذا ما وصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر يهدد مستعمراتها في الهند، وبدأت الحكومة الإنجليزية تهاجم مشروع قناة السويس بشراسة مما أوجس في نفس ديلسيبس الخوف أن ينهار المشروع وينسحب منه المساهمون وعلى رأسهم والي مصر . فأرسل ديلسيبس لوالي مصر خطابا أفاد فيه " أن الوقت في حفر ترعة الماء العذبة التي هي جزء لا ينفصل عن مشروع حفر القنال يعد أمرا سابقا لأوانه " . أي أنه كان يريد الإسراع في بدأ العمل بالمشروع دون انتظار حفر ترعة المياه العذبة الخارجة من النيل لسد حاجة العمال الملحة لماء عذب في الصحراء .

فرديناند ديلسبس

وبعد فتره من الزمن تردد فيها مشروع حفر ترعة للمياه العذبه بين أيدي مهندسي مجلس الأشغال الأعلى المنوط بهم التنفيذ وفي دهاليز اجتماع المجلس ووسط بعض الآراء المشبوهة التي أبداها الفرنسي موجل بك الذي تم تعيينه مديرا عاما للأشغال بشركة القناة تم وقف المشروع نهائيا .
لتبدأ بعد ذلك عملية حفر قنال السويس وسط عدم وجود حلول عملية لفكرة توفير مياه عذبة للعمال الذين تم الزج بهم إلى ساحات الحفر أو إلى المجهول .
وفي عام ١٨٥٩ كانت بداية تنفيذ مشروع حفر القناه واقتحام صحراء برزخ السويس في غياب ماء النهر العظيم عن المشهد . . بعد أن كان النيل الكريم كعادته على استعداد أن يفيض قدر استطاعته على أبنائه من المصريين بمائه ليحميهم من الموت عطشا ، ولكن النوايا لم تكن صادقة عند أهل السياسة والحكم .

## "ماء النيل وحياة المصريين"

كان المشهد . . في ساحات الحفر . . في الصحراء وفي غيبة ماء نهر النيل مأساويا قاتما كما يعّرفه لنا الباحث المؤرخ الدكتور عبد العزيز الشناوي الذي كتب :
( كانت شركة القنال تواجه في ذلك الوقت أخطر مشكلة صادفتها أثناء تنفيذ المشروع وعرضت أرواح العمال المصريين في صحراء البرزخ للخطر، الموت عطشا ويعني بها مشكلة ماء الشرب في ساحات الحفر. وقد تخبطت الشركة في التماس الحلول لها، فكانت أحيانا تنقله من دمياط لبورسعيد في قوارب ، ومن الإسكندرية في باخرة ، ثم استوردت ثلاثة مكثفات تباعا لتحويل البحر إلى ماء مستساغ. كما كانت تعتمد في بعض الأحيان على آبار متناثرة في الصحراء تنقل منها الماء في براميل على ظهور الجمال لمسافات بعيدة ، حيث كان يشتغل العمال، ولقي كثير من المصريين حتفهم بسبب تأخر وصول ماء الشرب إليهم ) .

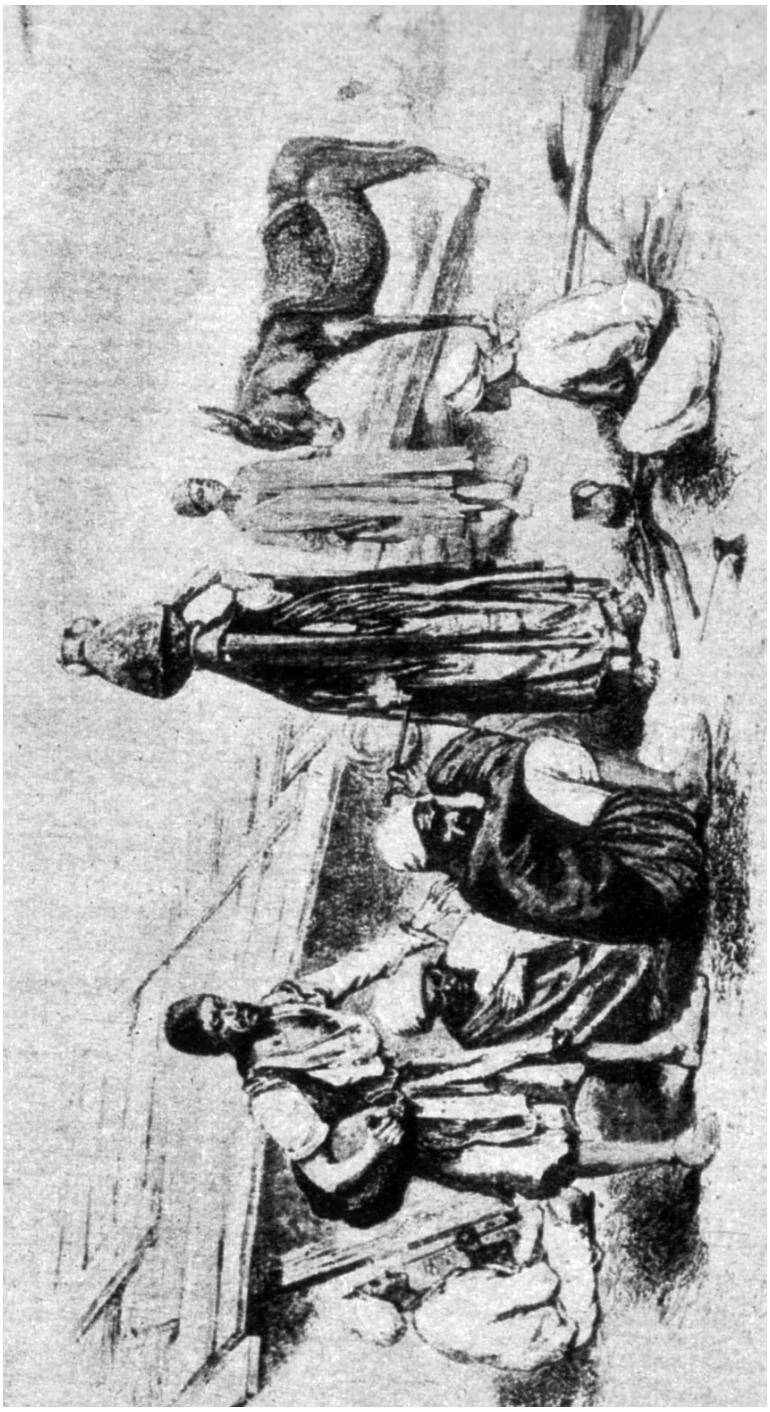

جانب من ساحات الحفر

جانب آخر من ساحات الحفر

ولنا أن تتخيل أن حياة آلاف من العمال المصريين البسطاء العاملين في الصحراء في مشروع حفر القنال معلقة بين الحياة والموت بسبب نقص المياه أو عدم وصولها اليهم، ربما ضلت قافلة الجمال التي تحمل الماء طريقها لساحات الحفر أو تعطل أحد مكثفات المياه التي تحلي ماء البحر، أو هبت رياح شديدة منعت وصول أي قارب أوسفينة تحمل الماء للعمال،وهذا حدث بالفعل أثناء عمل العمال عام ١٨٦١حين هبت عاصفة شديدة استمرت يومين تقريبا منعت وصول السفن والقوارب المحملة بالمياه حتى إذا ما هدأت العاصفة ولاحت القوارب قادمة في الأفق اندفع العمال نحوها في جنون وهجموا على براميل الماء ليروا ظمأهم. وكما قال أحد الفرنسيين شاهدا على هذه الواقعة في مذكراته أنهم "اغتصبوا شحنة الماء ".

كان المشهد يتجه نحو العبث، وكان موت العمال عطشا في صحراء السويس مأساة حقيقية ، كانوا يتساقطون كالذباب صرعى، والبعض منهم ما أن يشعر بنقص المياه في موقع العمل يلوذ بالفرار هربا . .ولكن إلى أين المفر ! ! ؟ هل إلى الأماكن التي توجد بها المياه ولكن حتى هذه الأماكن كانت بعيدة جدا فكانوا يموتون أثناء هروبهم في الصحراء عطشا أيضا .

حتى الآبار التي كانت الشركة المسئولة عن حفر القنال تحفرها كانت إما يكون ماؤها شديد الملوحة أو غير صالح للشرب .

وفي هذا المشهد الدرامي كان النيل هو الغائب الحاضر في أذهان الفلاحين البسطاء الذين ساقوهم قسرا وبالسخرة لساحات الحفر،كان النيل الذي غاب عن حياة المصريين في هذه اللحظات هوالفارق بين الحياة والموت. بعد أن أسقط أهل السياسة وأصحاب المشروع من حساباتهم فكرة حفر ترعة تخرج من ماء النيل لتمد العمال بالماء في الصحراء، واعتمدوا على حساب المقامرين لإيجاد المياه بأساليب بعضها بدائي والآخرغير مضمون.

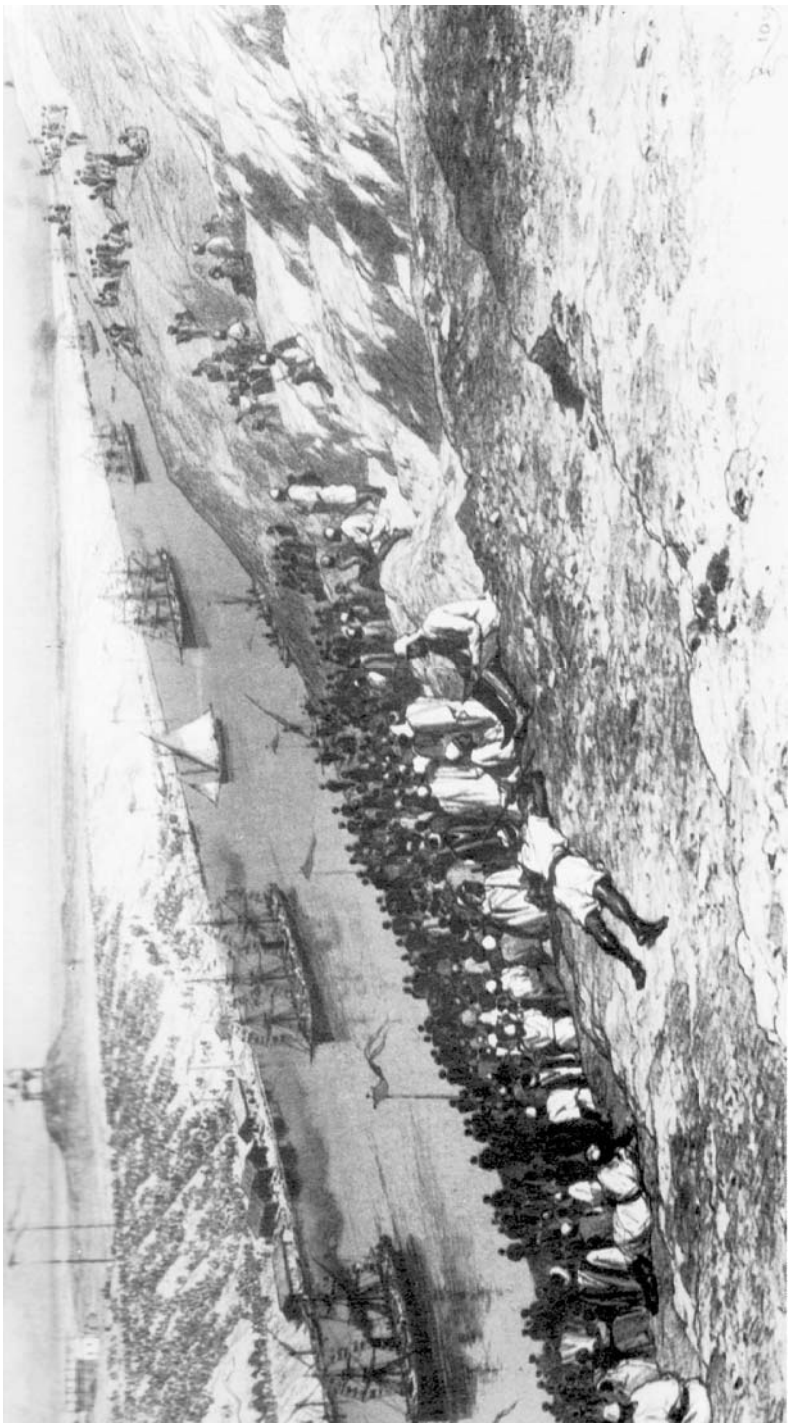

الملاحة في القنال بعد الافتتاح

ورغم أن الشركة المسؤولة عن حفر القناة قد مدت فيما بعد ترعة للمياه العذبة لمواقع الحفر ، إلا أن ذلك لم يحول دون وفاة الآلاف من العمال في صحراء السويس عطشا بعد أن غاب النيل عن حياتهم ، ليعاني هؤلاء المصريون البسطاء من العطش والسخرة التي انتزعتهم من أرضهم الخضراء التي يرويها لهم ماء النيل العذب ليقذف بهم في أرض جدباء لم يعرف النهر طريقا لها .

# الفصل الرابع

## "أشهر وأقدم جزيرة في نيل القاهرة"

على إمتداد نهر النيل من المنبع الى المصب تتناثر الجزر النيلية، ومنها جزيرة الروضة بالقاهرة التى احتلت مكاناً متميزا فى تاريخ مصر.حيث كانت متنزها للملوكٍ والأمراء والسلاطين لذا سرعان ما أصبحت الجزيرة مكانا للاحتفالات، وموقعاً تحاك فيه المؤامرات وصارت غاية المنى فى السكنى لعرب الصحراء،وتعاظمت مكانتها ببنائين هما مقياس النيل الواقع على رأس الجزيرة والذى من خلاله تعرف الدولة مقدار فيضان النيل فتقرر الضرائب او تعفى الناس منها بحسب الزيادة أو النقصان، والبناء الثانى هو سور مجرى العيون الذى ربط بين القلعة مقر حكام مصر لفترة طويلة وجزيرة الروضة باعتبارها أقرب مكان للقلعة يتوافر فيه ماء النيل وبذلك صارت الجزيرة منفذا رئيسيا للمياه.

"جزيرة الروضة حصن ومتنزه"

ويقول المؤرخ المقريزي: «اعلم أن الروضة تطلق في زمننا هذا على الجزيرة التي بين مدينة مصر ومدينة الجيزة وعرفت في أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن ، وعرفت إلى اليوم بالروضة» .
وبعد ذلك يبدأ المقريزي في كتابة تفصيلية عن أهم الأحداث التي شهدتها جزيرة الروضة، ومنها أنه تم بناء حصن ضخم على يد أحمد بن طولون الذى أسس الدولة الطولونية التي حكمت مصر لفترة من الوقت، وكان يعتزم نقل أمواله وحريمه إليه وذلك حين عرف أن الخليفة العباسي في بغداد غاضب عليه وأن جيشا في الطريق إليه لمحاربته فسارع ببناء الحصن وإن كان الجيش لم يصل إليه ومع ذلك فقد أنشأ بجزيرة الروضة دارا لصناعة المراكب الحربية.

وفي عصر الدولة الإخشيدية التى اسسها محمد بن طغج الإخشيدى قرر الأمير محمد أن ينقل دار الصناعة من مكانها إلى خارج الجزيرة وأن يبني مكانها بستانا اسمه المختار و الذى يقول عنه المقريزي:
(أن الأخشيد أخذها متنزها له وصار يفاخر به أهل العراق فلم يزل البستان المختار متنزها إلى أن زالت الدولة الإخشيدية والكافورية، وقدمت الدولة الفاطمية من بلاد المغرب إلى مصر . . فكان يتنزه فيه المعز وابنه العزيز وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس، لها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة . . . فلما كانت أيام استيلاء الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وحجر على الخلفاء أنشأ في بحري الجزيرة مكانا نزها سماه الروضة وتردد كثير عليه، فكان يسير في العشاريات من دار الملك التي كانت سكنه بمصر إلى الروضة، ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة فلما قتل الأفضل بن أمير الجيوش واستبد الخليفة الآمر، أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا سماه الهودج، ولم يزل الآمر يتردد إلى الهودج بالروضة للنزهة فيه إلى أن ركب من القصر بالقاهرة يريد الهودج فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم من النزارية قد كمنوا له في فرن تجاه رأس الجسر بالروضة وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وجرحوا جماعة من خدامه فحمل إلى منظرة اللؤلؤة بشاطئ الخليج وقد مات) .

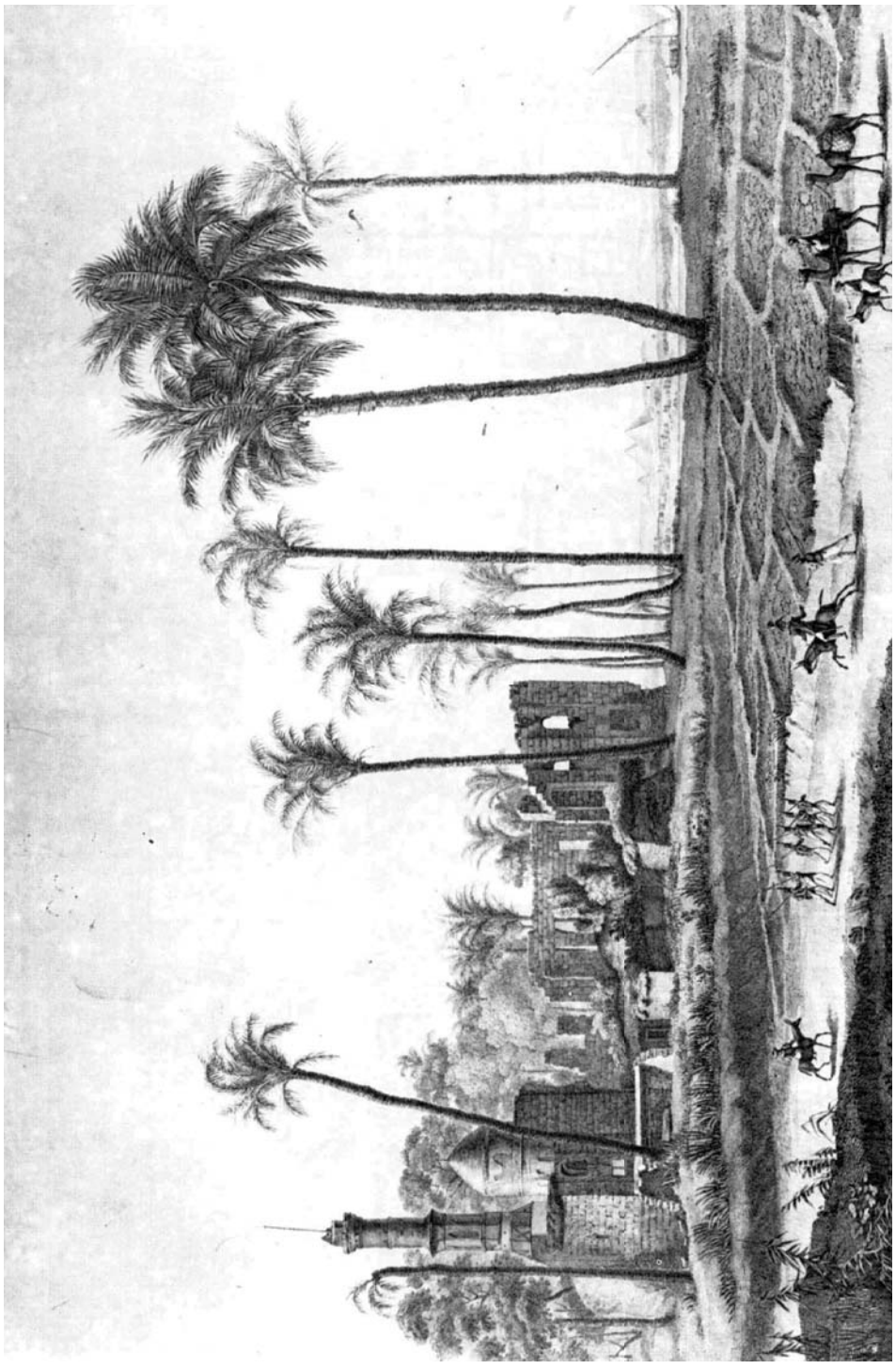

جزيرة الروضة في رسومات الحملة الفرنسية

## "جزيرة الروضة والملك الصالح "

وفى عصرالدولة الأيوبية اهتم الملك الصالح نجم الدين بجزيرة الروضة بشدة، حيث بنى قلعة ضخمة بالروضة على مساحة قدرها البعض بحوالي ٦٠ فدانا، وذلك لسبب حربي وهو قيام الصليبيين بمهاجمة مصر من بلاد الشام التي يحتلونها وتهديدهم لحدودها الشرقية، وخاف الملك الصالح على قلعة الجبل مقر الحكم في مصر فأراد أن يبني قلعة ثانية تكون خط دفاع ثان كما أنها ستمكنه من الدفاع عن القاهرة في حالة ما إذا حاولت قوات لويس الوصول للقاهرة عن طريق النيل وكانت قلعة ضخمة، وقام الملك الصالح بتسكين المئات من مماليكه فيها وأقام جسرا بين الروضة ومصر القديمة ويطلق حاليا على الكوبري الرابط بين المنطقتين كوبري الملك الصالح.
وأفرد المؤرخ المقريزي مكانا خاصا لذكر قلعة الروضة فى عهد الملك الصالح نجم الدين ايوب بقوله:
(اعلم أنه ما برحت جزيرة الروضة متنزها ملوكيا ومسكنا للناس كما تقدم ذكره إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب سلطنة مصر، فأنشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة و القلعة الصالحية.
وفى عاشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانوا بها وهدم كنيسة كانت للبعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة وبنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبنى بها جامعا وغرس بها جميع الأشجار ونقل إليها عمد الصوان من البرابي وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد والأقوات خشية من محاصرة الفرنج فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في إتقانها مبالغة عظيمة حتى قيل إنه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم) .

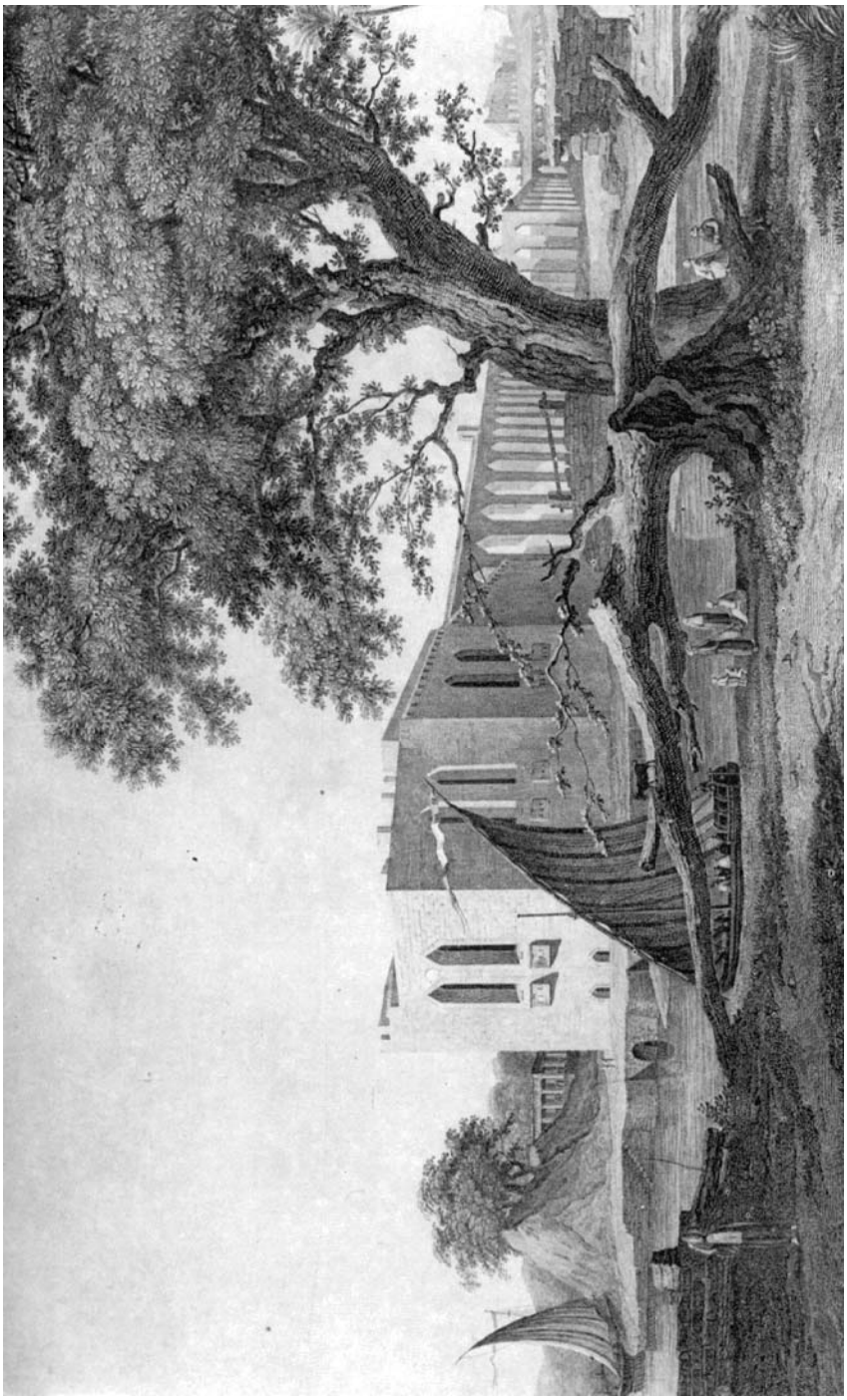

سور مجرى العيون في رسومات الحملة الفرنسية

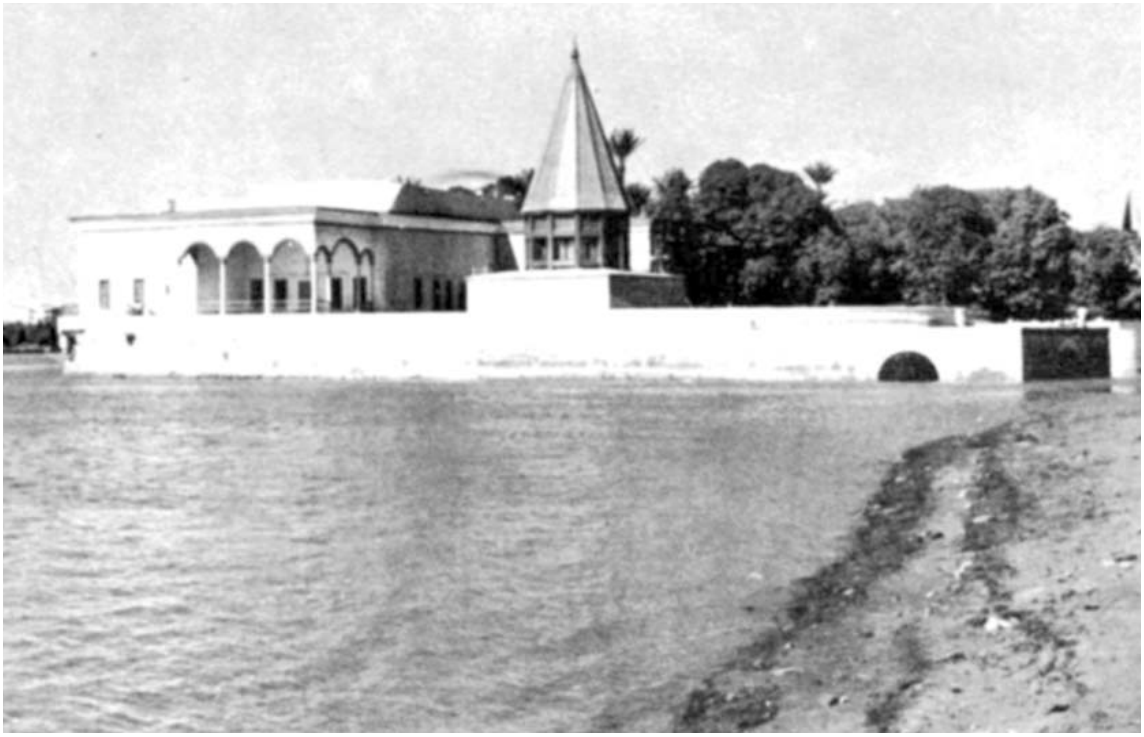

مقياس النيل في جزيرة الروضة

وتعرضت القلعة للتخريب عقب سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك ،وذلك على يد عز الدين أيبك التركماني ولكن السلطان المملوكي بيبرس أعاد تجديدها ،وذلك لتجدد الخطر القادم من الناحية الشرقية. خصوصا خطر المغول غير أنه بعد وفاته تهدمت القلعة وتم أخذ قطع منها لبناء أماكن أخرى ولكن ذلك لم يمنع استمرار اهتمام المماليك بالروضة ،فقد جدد السلطان قايتباي جامعا وأطلق عليه اسمه وما زال جامع قايتباي قائما حتى الآن ،وتواصل اهتمام السلاطين المماليك بجزيرة الروضة حيث قام السلطان قنصوه الغوري بتجديد جامع المقياس وأوقف عليه العديد من الأوقاف لضمان استمرار إقامة الشعائر به في صورة منتظمة ، وحين سقطت دولة المماليك سقطت مصر كلها ، وصارت تابعة للدولة العثمانية وصارت مصر مجرد ولاية عثمانية.

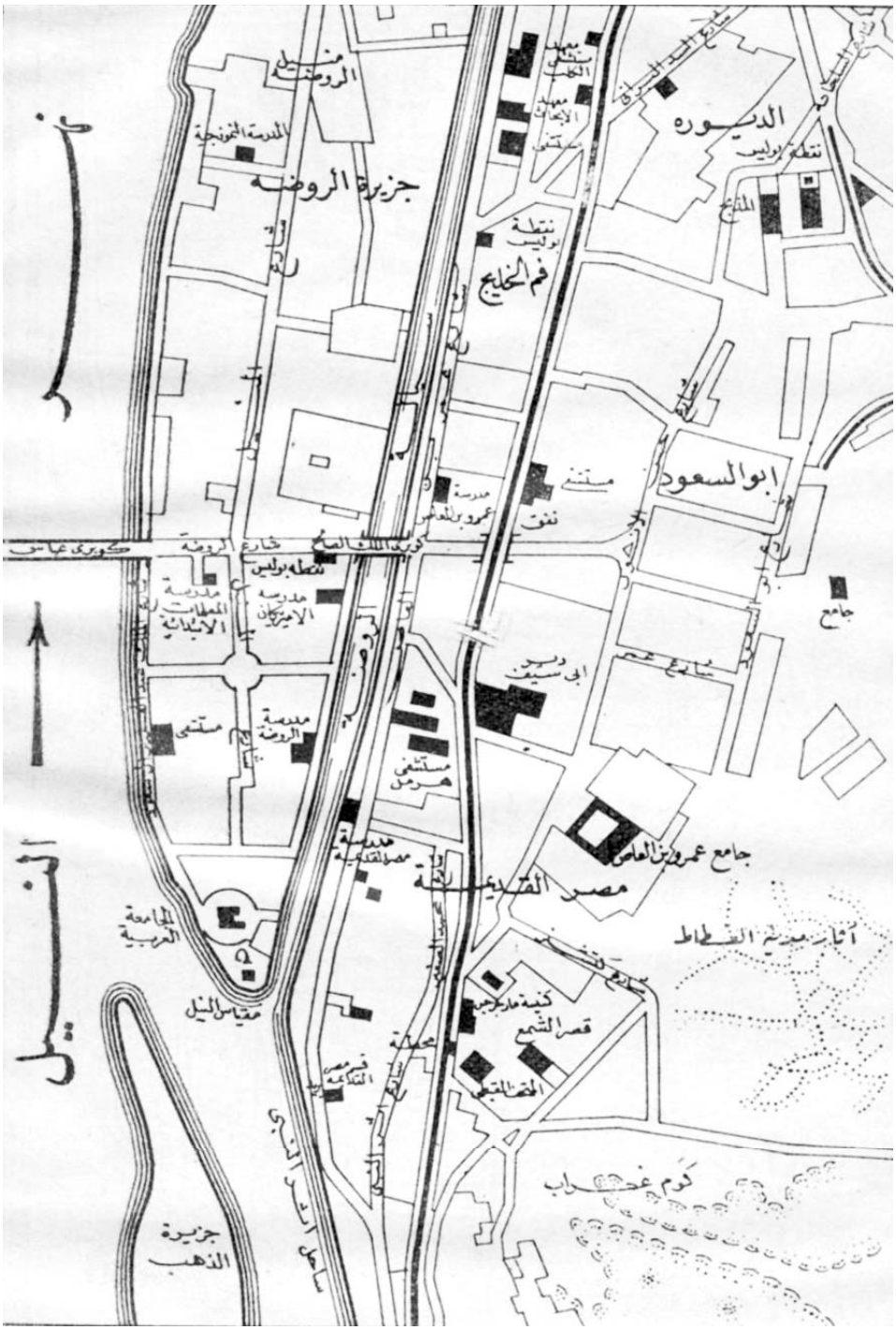


خريطة لجزيرة الروضة في منتصف القرن العشرين

كما شهدت جزيرة الروضة تنزه وزيارة عشرات من الملوك والسلاطين والحكام وعاش بعضهم فيها، وذلك نظرا لموقعها المتميز القريب من العواصم المختلفة لمصر التي بناها الحكام مثل الفسطاط والقطائع، فالروضة كانت على مشارف القاهرة القديمة عبارة عن أرض زراعية ممتدة هواؤها جيد والنيل يحيطها من كل مكان، وبهذا يجعل موقعها استراتيجيا للدفاع عنها أو للاستقرار فيها .
وزادت أهميتها بشدة حين تم بناء مقياس النيل بها على أطرف الروضة، حيث صارت العادة أن يذهب إلى ذلك المكان الملوك والسلاطين والولاة والأمراء وأعداد من الشعب للاطمئنان على وفاء النيل ووصول كمية المياه به للحد الذي يسمح بسد احتياجات الناس من المياه في ذلك العام.
وحين جاءت الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨ أبدى قائدها نابليون بونابرت إعجابه الشديد بها وصار نابليون بعد ذلك إمبراطورا لفرنسا، واهتمت أسرة محمد على باشا بالسكنى في جزيرة الروضة، حيث كان لإبراهيم باشا الذي حكم مصر عام ١٨٤٨ قصر اسمه قصر المغارة وكان للخديو إسماعيل حاكم مصر من عام ١٨٦٣ حتى ١٨٧٩ .

واهتم الملك فاروق ملك مصر والسودان بجزيرة الروضة، وفى أواخر الأربعينيات زار الملك عبد العزيز آل سعود ملك السعودية جزيرة الروضة، والتقى بالملك فاروق في قصر المانسترلي وتكريما لتلك الزيارة وتأكيدا على عمق الروابط بين البلدين تم إطلاق اسم عبد العزيز آل سعود على شارع النيل الذي كان يمتد بمحازاة النيل وما زال معروفا بهذا الاسم حتى الآن.

وحين قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ في مصر وظهر مجموعة من الضباط تولى أحدهم منصب رئيس جمهورية مصر فيما بعد وهم اللواء محمد نجيب الذي كانت زوجته الأولى وإخوته كذلك يسكنوا في الروضة وكان جمال عبد الناصر يستلم منشورات الضباط الأحرار من أرمني بجانب قصر المانسترلي وعاش الرئيس محمد أنور السادات لفترة من حياته في جزيرة الروضة.

## الفصل الخامس

# حكاية كوبري على النيل

كان افتتاح كوبري قصر النيل عام ١٨٧٢ كإحدى الوسائل الأكثر أمنا وسهولة لعبور نهر النيل هو ثمرة تزاوج مظاهر المدنية الحديثة كمنشأ معماري مع إحدى قوى الطبيعة ألا وهو النهر.

وكان افتتاح كوبري قصر النيل الذي يربط بين ضفتي النيل العظيم في عهد الخديو إسماعيل يمثل عبورا للجهة الاخرى للنهر بوسيلة اكثر تطورا تتفق مع الزيادة المطردة لعدد السكان ، وتطور وسائل النقل الحديثة وفكرة التبادل والتدفق التجاري بين نهر النيل شرقه وغربه أو بين القاهرة والجيزة .

بعد أن كان استخدام الوسائل البدائية لعبور نهر النيل دائما ما يعرض أرواح المصريين للخطر لا سيما أوقات فيضان النيل، وما أدراك ما فيضان النيل، فكان الناس ينتقلون للبر الآخر عن طريق المعدية أو بالمراكب الشراعية وكانت الوسيلة الأكثر تطورا لأنها تشبه الجسر هي صف مجموعة من المراكب بجوار بعضها البعض ويتم ربطها ثم تمتد عليها مجموعة من الألواح الخشبية يعبر عليها الناس والدواب.

"القاهرة في عهد الخديوي إسماعيل"

هكذا كانت الصورة . .وهكذا كان تفكير الإنسان المصري للعبور بين ضفتي نهر النيل، إنها محاولاته المستمرة لقهر النيل بقدر اتساعه العرضي حتى كانت أنجح المحاولات وأكثرها تطورا وأمنا هي بناء كوبري على ضفاف نهر النيل . . .فكان كوبري قصر النيل. . ولبنائه قصة أخرى نحكيها . .

ولكن قبل أن نخوض في قصة بناء كوبري قصر النيل كأول كوبري بالمعنى الحديث يقام على ضفاف نهر النيل العظيم، نسجل شهادة حق للتاريخ وعن جماعة المصريين الذين كان لهم الفضل في تطوير وجه القاهرة الجميل وإعطائه المسحة الأوروبية في عهد الخديو إسماعيل . . .الذي تواترت المصادر التاريخية إن الفضل يرجع له في هذا التطوير، رغم أن هذه حقيقة لا ينكرها عليه أحد ، إلا أن الحلم الإسماعيلي بأن ترتدي القاهرة الثوب الأوروبي لم يكن يتلامس مع ارض الواقع أو يرى النور بغير الأيدي والعقول المصرية المخلصة التي ساهمت بقوة في هذا التطوير في حضور الشركات الأوروبية التي استعان بها الخديو إسماعيل لتطوير البلاد، ولذلك كان حقا علينا ونحن نؤرخ لبناء كوبري قصر النيل ألا نغفل دور هؤلاء المصريين فنذكر منهم محمود باشا الفلكي رئيس إدارة ديوان الإشغال ، وبهجت باشا مفتش عموم قناطر وترع وجه بحري ، وعلي باشا إبراهيم با شمهندس شوارع مصر المحروسة، ومعه صاحب البشرة السمراء التي نحت من طمي نيل مصر علي باشا مبارك ،والذي قال عنه الباحث دكتور محمود خلاف في كتابه «علي باشا مبارك وآثاره» :(أن النهضة بمدينة القاهرة وبغيرها من مدن القطر كانت من الأعمال التي اتطلع «إضطلع» بها علي مبارك وهو في الأشغال مديرا أو مستشارا أو وزيرا وهو في القاهرة يعمل على تطويرها بحيث تلائم المدنية الحديثة. ففي الأحياء القديمة يتابع شق الشوارع وتوسيع الحارات لتلائم الحركة التجارية، وتتسع لسير العربات في الأحياء الجديدة ، ويقوم التقسيم على أساس الشوارع المتسعة التي تزرع على جوانبها الأشجار ، وعلي باشا مبارك هو الذي أشرف على تقسيم أراضي الجزيرة ، كما أشرف على عمل الجسر للوصول من المدينة ثم إليها، وهو كوبري قصر النيل ) .

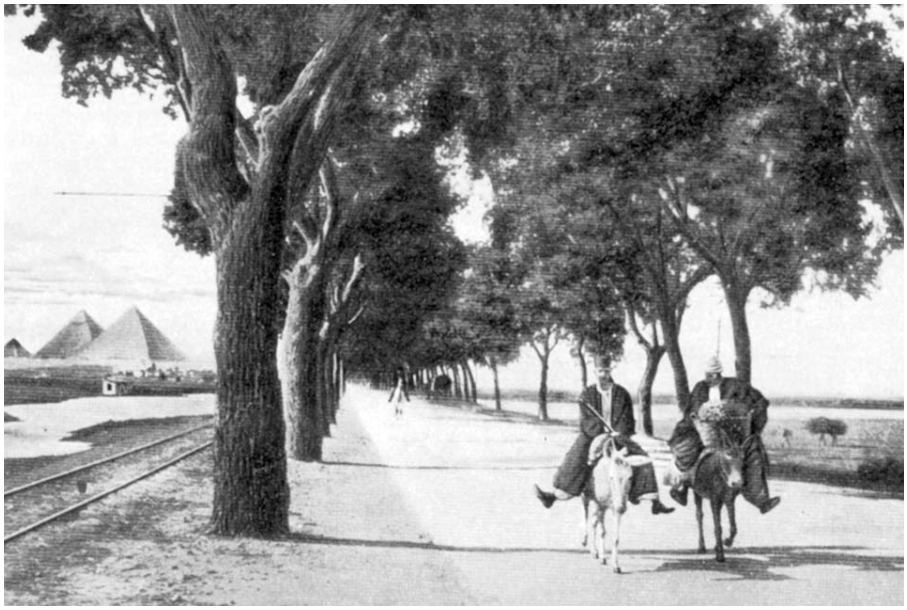

شارع الهرم في بداية القرن العشرين

أما علي باشا مبارك نفسه فهو يقول عن دور المصريين في تطوير القاهرة في عهد الخديو إسماعيل (إنه اتسعت وكثرت عربات الركوب وعربات البضائع والعمائر فصار غير لائق بها بقاء الحالة القديمة على حالها من ضيق الحارات والشوارع لاعوجاجها ،فصدرت الأوامر الخديوية لديوان الأشغال ونحن به بالنظر في ذلك ،وأن يعمل له قانون يأتي على المرام، وكانت لجنة تنظيم القاهرة برئاسة محمود الفلكي قد انتهت من تخطيطها الجديد فاعتمده ونفذ على الصورة التي عليها القاهرة من بعده ) .

وإجمالا كل ما أردناه من هذه الشهادات تؤكد فيها على أن الثوب الأوروبي الذي نسجه الخديو إسماعيل لترتديه القاهرة في عهده ساهم فيه خيال حاكم مهووس بكل ما هو أوروبي وسواعد وعقول مصرية خالصة مخلصة خططت ونفذت، وشركات أوروبية طورت وحدثت وأدخلت للبلاد من بدع المعمار ما لم يعرفه المصريون من قبل مثل كوبري قصر النيل، وهذه شهادة حق لكل الأطراف.

"أول كوبري على النيل"

وبعد . .كان عام ١٨٦٩بداية دخول مصر المحروسة عصر الكباري بمعناها المتعارف عليه اليوم، حيث عهدت الحكومة المصرية بناء على أمر عال من أفندينا خديو مصر إسماعيل، لشركة فرنسية هي (شركة فيف–ليل) ببناء كوبري على النيل وهو كوبري قصر النيل وقد أطلق عليه هذا الاسم لوجود قصر الأميرة نازلي هانم بنت محمد علي باشا المسمى بقصر النيل في تلك المنطقة . .استغرق العمل في الكوبري حوالي ثلاث سنوات حتى إذا ما تم بناؤه تشكلت لجنة فنية لاختبار صلابة الكوبري ومتانته، وقد ضمت هذه اللجنة محمود باشا الفلكي ، رئيس إدارة ديوان الأشغال ، ومعه بهجت باشا مفتش عموم قناطر وترع وجه بحري ، ومعهم علي باشا إبراهيم باشمهندس شوارع مصر المحروسة . .وآخرون .

وقد أجرت هذه اللجنة تجارب التشغيل الأولى واعتمدت على مرور فرقه من بطارية الطوبجية (المدفعية) مكونة من ٦مدافع فوق الكوبري أكثر من مرة وبأكثر من تشكيل حتى أيقنت اللجنة من متانة وصلابة الكوبري وانه لا يضره بعض الاهتزازات عند مرور فرقه الطوبجية، ودعونا نقف ونتأمل هذا المشهد مرة أخرى وألا تفوت علينا مع لحظات السرد التاريخي بعض لحظات التأمل . .فالإنسان الذي كان يقف في بادئ الأمر حائرا كيف يعبر النهر . . .ثم عبر علي الألواح الخشبية . .ثم ما لبث أن عبر على ظهر مركب على جانبيها المجدافين أحدهما يمثل مجداف الأمل والآخر يمثل مجداف المغامرة. .ثم تطور الأمر لبناء جسر بدائي عبارة عن مجموعة مراكب مربوطة ببعضها تعلوها الألواح الخشبية . .وكل تلك المحاولات تكسوها مخاطر الفيضان الذي يهدد الأرواح العابرة للنهر ، إذ بهذا الإنسان ينشئ كوبري على النيل بنيت أساساته من الدبش المحيط بالحجر الصلب محمول عليها ألواح من الصاج تمثل طريق العبور للضفة الأخرى. . .وتمر عليه ٦ مدافع ثقيلة قد تزن عشرات الأطنان. . .ليصبح في النهاية في مأمن من فيضان النيل، إنها حقا صورة جديدة من صور ترويض النهر. . .

وعلى أي حال ففي مايو ١٨٧٢ كان الافتتاح الرسمي لكوبري قصر النيل ليولد أول كوبري حديث يقام على ضفتي نهر النيل في مصر ويصبح أول كوبري يحصل على جواز مرور على ظهر صاحب المقام الرفيع النيل العظيم.

كوبري قصر النيل القديم

ويصبح كالوريد في قلب القاهرة عاصمة البلاد ينقل فيها البشر والدواب محملة بالأقوات والأرزاق وليساهم مع غيره من الكباري الأخرى التي أنشئت في هذا العهد بصورة كبيرة في حركة التوسع العمراني والنمو السكاني والاقتصادي لاسيما بين مدينتي القاهرة والجيزة ليصبح النزوح منهما وإليهما سهلا،وكما ساهم بصورة فعالة في حركة التجارة الواردة من الوجه القبلي .

وكما قال علي باشا مبارك في فضل بناء كوبري قصر النيل:( إنه بني جسر قصر النيل ليصل بين القاهرة والجيزة لأجل زيادة الأمن والتسهيل على الخاص والعام وامتداد الشوارع الفسيحة المنتظمة في بر الجيزة ، وحفت الأشجار وفرشت بالأحجار الدقيقة المختلطة بالرمل لمنع الأتربة وتسهيل المرور للعمائر والسرايات والبساتين التي تجل عن الوصف) . . إذ كان للكوبري دور مهم في تسهيل عملية إعمار الجزيرة أو الجيزة الطرف الآخر من النيل .

ورغم أن العبور على كوبري قصر النيل كان متاحا للعامة والخاصة إلا أن الحكومة المصرية قد أصدرت قرارا بأن يكون العبور على الكوبري نظير مقابل مادي وهو ما أطلق عليه الإعلان الصادر من محافظ مصر اسم العوائد والذي جاء فيه : (بيان العوائد المقتفى ترتيبها على المرور من الكوبري المستجد على بحر النيل من جهة قصر النيل كل من كان يمر على رأس الكوبري من الجهتين يكون ملزما قبل مروره بدفع العوائد حسب المبين أدناه ، ولا يجوز المرور من الكوبري مجانا ماعدا من يصير معافاتهم بهذه التعريفة ) .

فكانت العوائد آنذاك تشمل مرور الحيوانات من الجمال والخيول والبغال والحمير والجاموس والأغنام، كما كانت هناك عوائد مقدرة على الرجال والنساء ، وكان الأطفال حتى سن ٦ سنوات معافين من عوائد المرور.

الملك فؤاد

## " إنشاء كوبري قصر النيل الجديد "

وقد ظل كوبري قصر النيل الذي بني في عهد الخديوي إسماعيل يؤدي دوره الهام في تسهيل حركة النقل والتجارة بين ضفتي نهر النيل العظيم ، وشاهدا على واحدة من صور تفاعل الإنسان مع النهر حتى بات كوبري قصر النيل في ثلاثينيات القرن العشرين غير قادر بجسمه أن يتحمل التطور والتقدم المذهل في وسائل المواصلات والزيادة المضطردة في عدد السكان، فكان لابد من التفكير في تجديد شباب كوبري قصر النيل الذي أنشئ في عهد الخديو إسماعيل وقت أن كانت وسائل المواصلات في مصر تعتمد على الخيول والحمير والجمال والبغال وغيرها من الدواب ، فصار جسم الكوبري الضعيف لا يقوى على تحمل السيارات بشتى الأنواع والأحجام وهي تسير على ظهره بصورة مستمرة مما اضطرت معه مصلحة الطرق والكباري إلى التغيير في حركة المرور على الكوبري بمنع مرور العربات الثقيلة ومنع مرور عربات النقل بطيئة الحركة.

ثم بدأت مصلحة " الطرق والكباري " في عهد الملك فؤاد الأول مع بداية الثلاثينيات في وضع مشروع لبناء " كوبري قصر النيل " من جديد بعد فك وحل الكوبري القديم الذي أنشئ في عهد الخديو إسماعيل.

أما عن هدم " الكوبري القديم " فقد استعملت فيه مصلحة الطرق والكباري الحكمة وبعد النظر مما ينبئ عن وجود إدارة فنية على مستوى راق فاستعملت المصلحة أسلوب الفك النظامي ، فتم فك كل قطعة في جسم الكوبري مع وضع رقم عليها ، لتصبح كل القطع مرقمة فيمكن الاستعانة بها فيما بعد بسهولة إن أمكن ، كما اشترطت المصلحة على مقاول البناء عدم استعمال النار مطلقا في قطع أجزاء الكوبري الحديدية ! !

كوبري قصر النيل القديم الذي بني في عهد الخديو إسماعيل

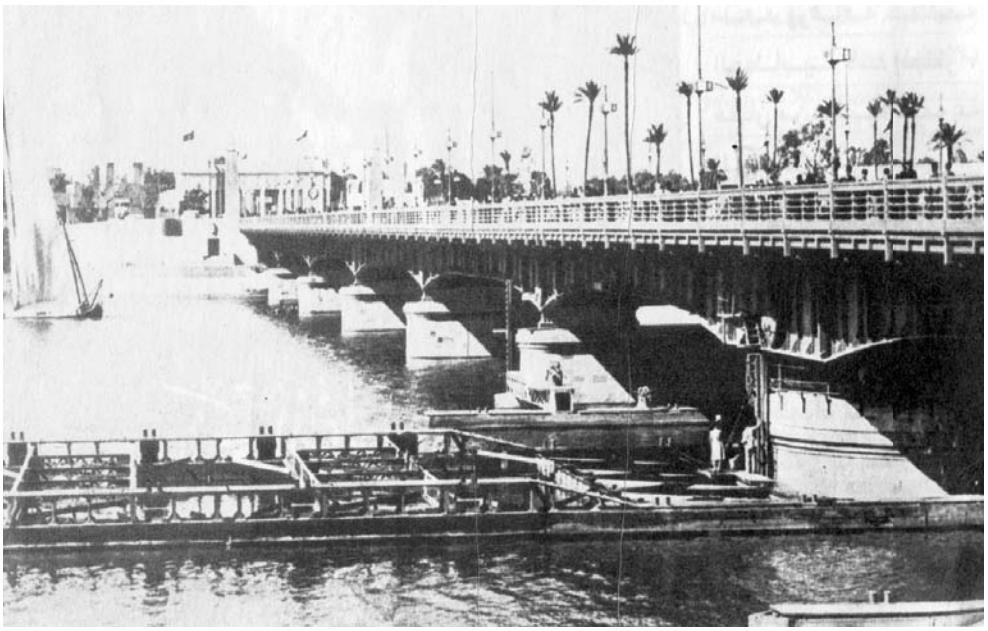

كوبري قصر النيل الجديد الموجود الآن

وقد طرحت مصلحة الطرق والكباري "كراسة مواصفات " ربما كان من أطرف ما فيها انها اشترطت على مقاول البناء أن يكون الكوبري جميل المنظر سواء نظر اليه الناس من ناحية النهر أو من أعلى الكوبري مع اشتراط ان يحتفظ بوجود الأسود الموضوعة على مداخل الكوبري كما هي دون تغير لتحلية مداخله، وأن يستعمل فيه فوانيس كهربائية للإنارة.

وقد تنافست على إعادة بناء كوبري قصر النيل ١٣ بيتا هندسيا أوروبيا عالميا منها :خمس شركات إنجليزية وثلاث شركات إيطالية و شركتان المانيتان وشركة فرنسية ،وشركة نمساوية ،وشركة بلجيكية ،فاستقر مشروع اعادة البناء على شركة "دورمان لونج" الإنجليزية .فبدأت في عملية البناء بعد أن صدر لها التكليف من مصلحة الطرق والكباري في يناير من عام ١٩٣١.وفي عام ١٩٣٣افتتح الملك فؤاد كوبري قصر النيل الجديد بعد أن تغير اسمه الى كوبري "الخديو إسماعيل" تخليدا لذكرى والده وليصبح كوبري قصر النيل أول كوبري يربط بين ضفتي النهر شاهدا حتى اليوم على تحدي الانسان للنهر ومحاولة استغلاله بكل الوسائل .

# الفصل السادس

## "منابــع النيــل"

الإنسان المصري البسيط وقف لآلاف السنين على شاطئ النيل في أماكن مختلفة من مصر ليسأل نفسه يا ترى من أين تأتي هذه المياه . . من بئر عميقة أم من جبل عال ، أم من أمطار غزيرة . . وهل هناك بشر مثله يتمتعون أيضا بخيرات هذا النيل ويعلمون أولادهم وزوجاتهم مدى أهمية الحفاظ على النيل لاستمرار حياتهم وحضارتهم. . ورغم مشروعية السؤال وواقعيته فإن البادرة الأولى المعروفة لنا تاريخيا لاكتشاف أو على الأقل محاولة اكتشاف جانب مجهول من حياة النيل وأطواره ، جاءت من العصر الفرعوني عبر رحلات سجلتها لنا كتابات محفورة في مقابر الفراعنة، ولكن هؤلاء القدماء بما يملكون من تطور وتنظيم كانوا محدودي القوة تجاه هذا النهر ، فلم يستطيعوا الكشف سوى عن اليسير من أسراره وحدوده.

ولكن إستمر حلم اكتشاف الشمال للجنوب يداعب خيال المصريين، فالنيل حياتهم وهم دائمو التفكير والتطلع لهذا المجهول بالنسبة لهم . . هل يفيض ماؤه هذا العام أم يقل . . هل ترتوي أراضيهم وبيوتهم أم يتسولون شربة ماء . .ومع عام ١٨٠٥ دخلت مصر في طور جديد في حياتها السياسية حيث وصل لحكم مصر محمد علي باشا الذى عمد الى تنظيم شئون الحياه وطور الدولة المصرية، وجعل منها إمبراطورية ورغم البؤس والقهر الذي عانى منه المواطن المصري البسيط في ذلك الوقت فإن هذا لا يمنع من اعتبار محمد على باشا مؤسس مصر الحديثة. واهتم محمد على باشا بالاتجاه جنوبا وربما كانت تحدوه آمال عظام في اكتشاف أسرار النهر ومن أين يأتي ولكنه فشل . . ولكن ليس الفشل العميق فقد حقق بعض المكاسب الهامة التى قام الخديو إسماعيل حفيد محمد علي باشا بالبناء عليها للوصول الى منابع النيل وإكتشاف ذلك المجهول حيث كون فريقا متعدد الجنسيات والديانات وكأنهم أمم متحدة صغيرة لكشف ذلك النهر وأسراره الغامضة ولكن إختلاف الحضارات واللغات والعادات بين بعثة المكتشفين القدامين من مصر والأهالي حول منابع النيل حالت دون تقارب إنساني متميز ومتماسك فبالتأكيد كشفت هذه البعثة للمواطن الأفريقي البسيط السؤال الذي رواده عبر آلاف السنين . . إلى أين يمضي هذا النهر ولم تمض بضع عشرات من السنين على هذا الاكتشاف حتى شعر السكان من المصب إلى المنبع أنهم في حاجة ماسة لتقارب إنساني وأنهم لا بد أن يتجمعوا ويتحدثوا عن هذا النهر وكيف يحمونه ويتقاسمونه لخيرهم جميعا .

# لاكتشاف مجاهل افريقية وشواطىء المحيط الهندى

عثرنا في الجمعية الجغرافية المصرية على صورة نفيسة لاحدى البعثات العلمية التي ارسلتها حكومة المغفور له الخديو اسماعيل لاكتشاف منابع النيل ومجاهل افريقية والوقوف على احوال تلك البلاد وعمل الخرائط اللازمة لها . وقد احببنا أن نقدمها للقراء مع هذه المعلومات القيمة عن اهتمام الحكومة المصرية وارسالها البعثات المختلفة الى اواسط افريقية وشواطىء المحيط الهندى

منذ تبوأ المغفورله محمد علي باشا الاريكة المصرية وهو دائب السعي في نشر نفوذه واتساع دائرة مملكته . ويعلم القراء كيف قام بالحروب المختلفة فى الشام والحجاز والسودان لتحقيق هذا الغرض حتى اصبحت مملكته واسعة النطاق . وقد نسج على منواله المغفور له الخديو اسماعيل ، فارسل الجيوش إلى السودان والحبشة ، وأوفد البعثات تلو البعثات لاكتشاف مجاهل السودان وأواسط افريقيا وامتلاك منابع النيل وبسط نفوذه عليها . ومن هذه البعثات التي أوفدها نحو ثلاثين بعثة كلها قامت باكتشاف هذه الجهات وتخطيط طرقها وأماكنها ودرس أحوالها وطبائع جوها وأراضيها ومعرفة سكانها وعاداتهم ومعيشتهم وغير ذلك مما أفاد العلم وافاد الحكومة المصرية باعتبارها حكومة فاتحة تنشر نفوذها وتبغي التوسع في ممتلكاتها

ونذكر من هذه البعثات ما يأتي :

بعثة الكولونل بردي واللفتننت كولونل ميسون والميجر براون وعدد من ضباط اركان الحرب المصريين إلى دارفور ، ودار فرتيت ، وحفرة النحاس، واستطلاعهم احوال تلك البلاد الجوية والزراعية والمعدنية ، وسيرهم من جبل ميروب شمالا إلى ألسكاجنوبا ووداي غربا ووضعهم خريطة عامة شاملة لجميع هاتيك الاصقاع بعد اجتيازهم ٦٥٠٠ كيلو متر وتعيينهم ٢٢ مركزاً تعييناً فلكياً دقيقاً

وقد قام بردي ايضاً ببعثة اخرى مع الكولونل ميسون وخمسة من الضباط المصريين ، فارتاد مابين دنقلة والفاشر عقب استيلاء الجنود المصريين على دارفور

وقام الكولونل كلستون مع خمسة من الضباط المصريين واكتشف الطريق ما بين الدبة ومتول وما بين الدبة واتيل . ثم تجول في الجزء الشمالي من اقليم كردفان ووضع تقريراً وافياً عنه ، وقضى عدة شهور في تلك المهمة

وأرسلت الحكومة المصرية أيضاً العالم الجيولوجي متشل مع عالم آخر يدعى اميليانو وضابط من ضباط أركان الحرب المصريين لارتياد الطريق من قنا إلى البحر الاحمر ووضع خريطة لتلك الجهات . وقد قام متشل بمن معه إلى البلاد الواقعة فى شمال زيلع الغربي للوقوف على أحوالها ولا سيما ما يختص بالجيولوجيا

ثم ذهب فى رحلة أخرى بعد اكتشافه منجمي ذهب قديمين من مصوع إلى هضبة الحبشة لاجراء بحوث جيولوجية . وكانت هذه الرحلة من أتعس الرحلات إذ أسر الاحباش متشل ورجاله وأذاقوهم العذاب ألوانا وأشكالا

ومن هذه البعثات أيضاً بعثة الكولونل لكيت والكولونل فيلد واللفتننت كولونل دريك والضابط بليغ افندى وبعض الضباط المصريين إلى جوار مصوع وهضبة الحبشة لدرس طبيعة الارض وطبوغرافيتها ومناخ البلاد ووسائل معيشتها ولوضع خريطة مفصلة لها وذلك قبل الهجوم عليها عسكريا

وقد أوفدت الحكومة المصرية بعض المصريين ببعثات إلى هذه الجهات كبعثة القائمقام مختار والمساعد القائمقام فوزي لاستطلاع الارض ما بين زيلع وهرر وتخطيطها ووضع خريطة لها وللبلاد التي تكتنفها من جميع جهاتها

وقام اليوزباشي صدقي ببعثة إلى سواحل المحيط الهندي من الجهة الافريقية الشرقية وقد درست هذه البعثة طبيعة البلاد ووضعت خريطة مفصلة عنها

ورحل جوردون من جندكورو إلى بحيرة البرت نيانزا برفقة واطسون وتشيندال وجيسي لمعرفة مجرى النيل الابيض في تلك الجهات والوقوف على احوال البلاد الممتدة على ضفافه

كما رحل واطسون وتشيندال بأمر من جوردون من الخرطوم الى جندكورو للغرض والمهمة نفسهما . ثم قاما بعد ذلك برحلة الى «رجاف» بالقرب من جندكورو

**مقال عن إكتشاف منابع النيل نشر فى الصحافة المصرية (مجلة كل شيء والعالم عام ١٩٣١)**

فرصدا انتقال الزهرة ووضعا تقريراً عنه للمراصد الفلكية بمصر والغرب

وقام جيسي برحلة الى بحيرة البرت نيانزا وطاف فيها لمعرفة اتساعها ومقدار ما تمد به النيل من مياهها سنوياً . ودرس في هذا الطواف أحوال الاهالي القاطنين على شواطئها . وقد قام بعده لونج فارتاد مجرى النيل واستطلع احواله بين بحيرة فكتوريا نيانزا ومرولي ، واكتشف البحيرة التي سميت ببحيرة ابراهيم والد الخديو اسماعيل

ويضيق بنا المقام لو عددنا ما قام به جوردون وجيسي ولونج من ارتياد منابع النيل وضفافه العليا ودرسهم لها درسا دقيقا ثم تخطيط جهاتها ووصفها وصفا وافيا مما أفاد العلم فائدة عظيمة

وقد أرسلت الحكومة المصرية فضلا عما تقدم بعثات مختلفة الى كردفان ودارفور وخط الاستواء لاجراء اختبارات واستطلاعات بارومترية وترمومترية متنوعة وقد أوفدت الرحالة الشهير برتن الذي طاف المعمورة الى «مدين» للوقوف على حاصلاتها المعدنية والزراعية ، ووضع التقارير الوافية عن احوال ارضها وسكانها

ولا شك ان ارسال هذه البعثات قد استنفد مالا كبيراً ومجهوداً شاقا . ولكن ذلك اذا قيس بما أنتجته من اكتشافات جليلة ومعلومات كانت لولاها في طي الخفاء نعم اذا قيس ذلك بتلك الفوائد الثمينة التي عادت على الحكومة ورجال العلم باحسن الفوائد ، هان المال الكثير ، واستعذبت كل المشاق التي لقيتها هذه البعثات في تلك الانحاء

أحد المشروعات على بحيرة فيكتوريا المقامة على النيل

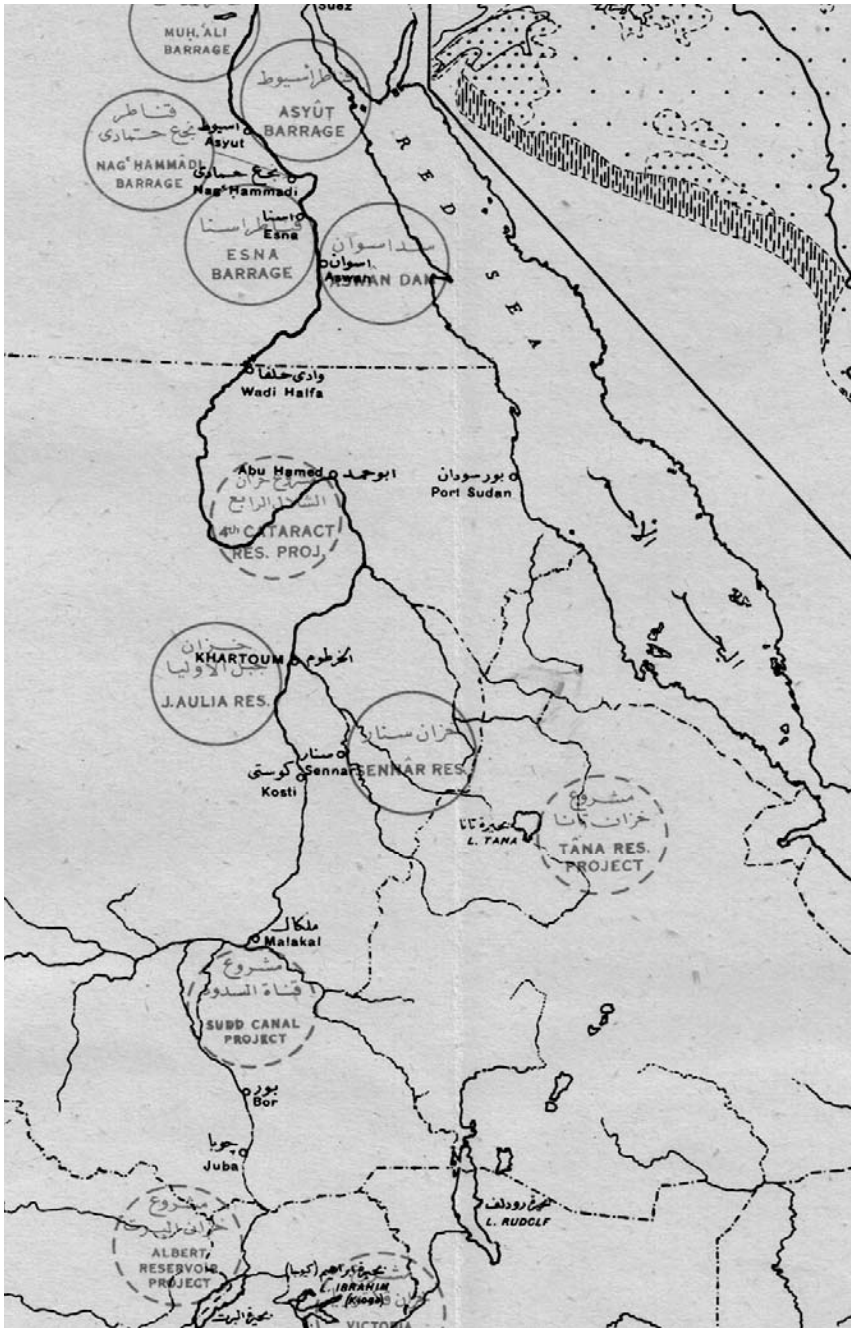


خريطة لمشروعات في دول حوض النيل عام ١٩٤٧

# الفصل السابع

## تدريس جغرافيا النيل للبنين فى عهد الخديوى إسماعيل

شهد عصر الخديوى إسماعيل بعثات إستكشافية مصرية جابت منطقة حوض النيل لتصل الى منابع النيل ونجح التواجد المصرى فى تلك المناطق فى عقد اتفاقات متميزة مع بعض حكام فى دول حوض النيل مثل ملك اوغندا، ومن المؤكد أن النيل ومجراه ومنابعه احتلت جزءا هاماً من سياسات حاكم مصر الخديو إسماعيل لنرى أثر ذلك وقد إنعكس على إهتمام الخديوى بتدريس جغرافيا نهر النيل لطلبة المدارس المصرية فنرى ذلك فى كتاب الجغرافيا المقرر عام ١٨٧٨ أى من حوالى ١٢٩ عام ونحن ننفرد بتقديم هذه الوثيقة النادرة وتحديدا الجزء الخاص بالنيل والمنقولة بصورتها الاصلية بلغة ذلك العصر وتعبيراته ومسميات المدن والأشخاص التى قد تكون قد اختلف بعضها عما هو حالى ولكن يظل هذا الفصل هو توثيق تاريخي لأهتمام الخديوى إسماعيل بالنيل وإهتمامه بتقديم وصف تفصيلى له للطلبه المصريين لربطهم بإخوانهم على امتداد دول حوض النيل.

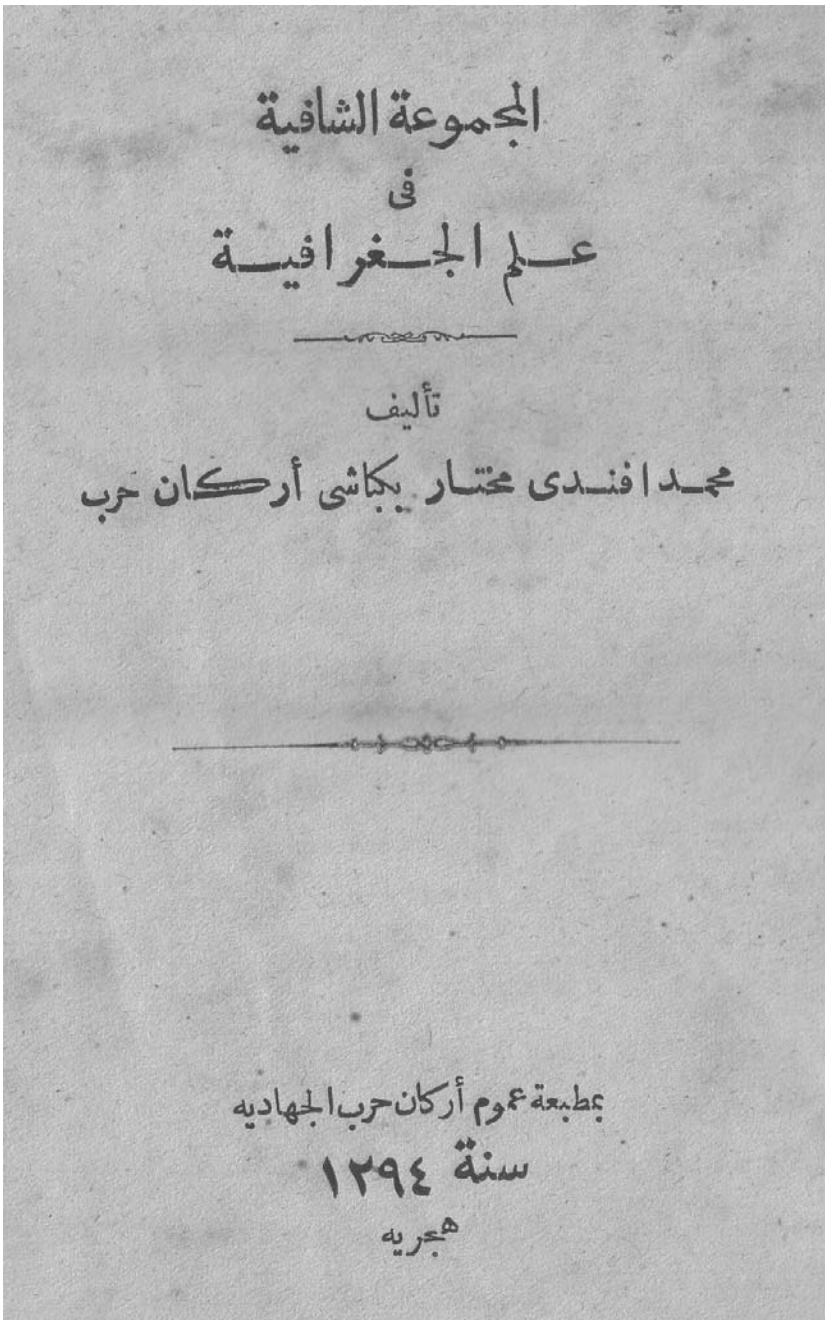


غلاف كتاب الجغرافيا المقرر على طلبة المدارس فى عهد الخديو إسماعيل

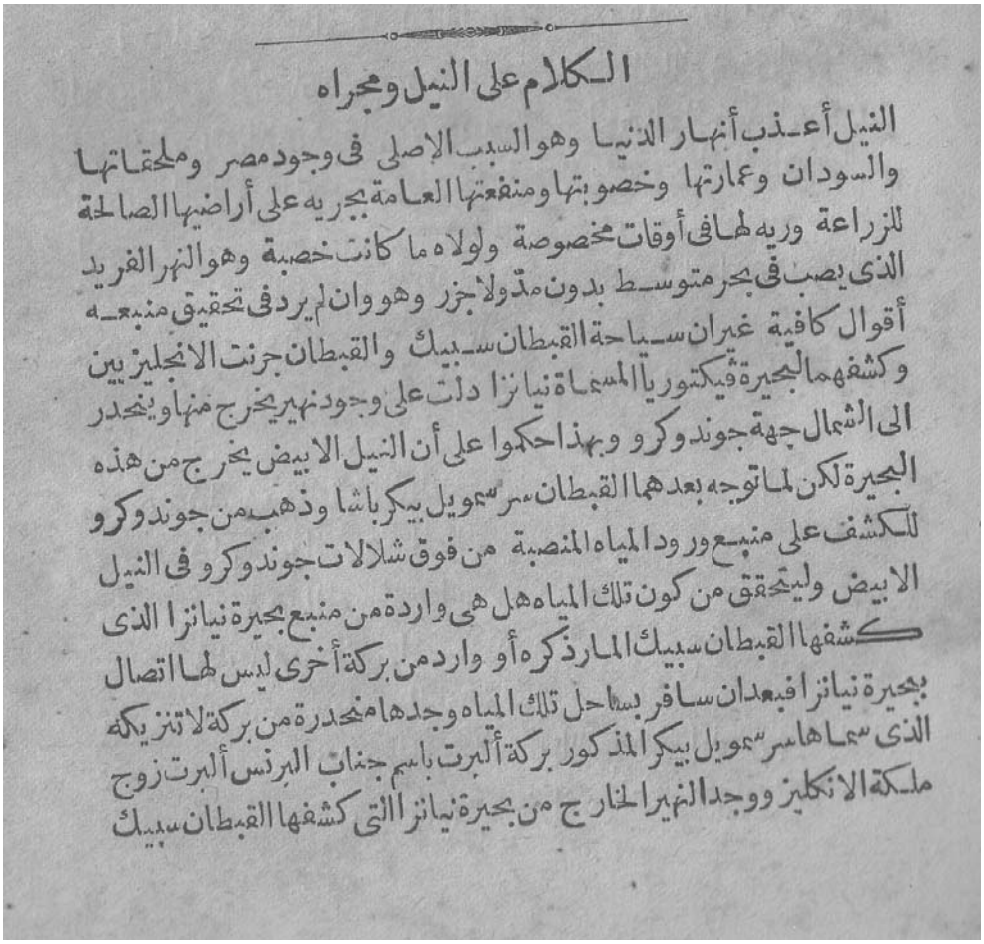

## الكلام على النيل ومجراه

النيل أعذب أنهار الدنيا وهو السبب الاصلى فى وجود مصر وملحقاتها والسودان وعمارتها وخصوبتها ومنفعتها العامة بجريه على أراضيها الصالحة للزراعة وريه لها فى أوقات مخصوصة ولولاه ما كانت خصبة وهو النهر الفريد الذى يصب فى بحر متوسط بدون مدولا جزر وهو وان لم يرد فى تحقيق منبعه أقوال كافية غير ان سياحة القبطان سبيك والقبطان جرنت الانجليزيين وكشفهما البحيرة فيكتوريا المسماة نيانزا دلت على وجود نهر يخرج منها وينحدر الى الشمال جهة جوندوكرو وبهذا حكموا على أن النيل الابيض يخرج من هذه البحيرة لكن لما توجه بعدهما القبطان سر سمويل بيكر باشا وذهب من جوندوكرو للكشف على منبع ورود المياه المنصبة من فوق شلالات جوندوكرو فى النيل الابيض وليتحقق من كون تلك المياه هل هى واردة من منبع بحيرة نيانزا الذى كشفها القبطان سبيك المار ذكره أو وارد من بركة أخرى ليس لها اتصال بحيرة نيانزا فبعد ان سافر بساحل تلك المياه وجدها منحدرة من بركة لا تنزيكه الذى سماها سر سمويل بيكر المذكور بركة ألبرت باسم جناب البرنس ألبرت زوج ملكة الانكليز ووجد النهر الخارج من بحيرة نيانزا التى كشفها القبطان سبيك

**الجزء الخاص بالنيل فى كتاب الجغرافيا المقرر على طلبة المدارس فى عهد الخديو إسماعيل**

ينصب فى بركة لاتنزيكة المذكورة فبوقتها حكم بيكر المذكور بأن منبع النيل هو بركة لاتنزيكه الذى كشفها هو والقبطان سبيك حكم بأن منبع النيل هو بركة ڤيكتوريا نيانزا الذى كشفها المذكور وكما قلنا انه حاصل بين هاتين البحيرتين اتصال ومياههما مختلطة ببعضها وربما يكون لها بعض اتصالات أخرى ولايمنع من حكمنا بان منبع النيل الابيض هما تلك البحيرتان وهذا كان على حسب معرفتنا فى سنة ١٨٧٠ لكن سياحة القائمقام لونج بك من أركان حرب الجيش المصرى سنة ١٨٧٤ وسياحة ستنايلى فى سنتى ١٨٧٥ و١٨٧٦ برهنا لنا على ان مياه بحيرة فكتوريا ومياه بحيرة أخرى كشفها لونج بك وسماها بحيرة ابراهيم يصبان فى النيل ثم ان النيل الحقيقى يتركب من نهرين أصليين وهما النيل الابيض والنيل الازرق وكلاهما متكون من نهيرات وغدران فالنهير الابيض متكون من نهيرا الكيلاك الآتى من غرب بلاد السودان ويكبر عند بحر الغزال ثم من نهير صوبا المعروف بنهر الظراف الآتى من شرق بلاد الحبشة ثم من النهير الابيض نفسه الذى تقدم الكلام على منبعه ويكون على الشاطئ الشرقى للنهير المذكور من ابتداء جوندكرو الموجودة على عرض ٤ درجات و٥٣ دقيقه عرضا شماليا البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| جار | موشارا | شرقى النهير الابيض |
| بمير | بوكاكا | من ابتداء جوندكرو |

ويكون على شاطئه الغربى من ابتداء جوندكرو البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| پونچات | اتيوب | غربى النهير الابيض |
| بوكا | حلة بخيتة | من ابتداء جوندكرو |
| كورونيلت | فاتوار | |
| اكاناق | اجورا | |
| ابوكوكا | الابدوك | |
| مدبوك | | |

وبعدها يلتقى بحر الغزال عند فوه الموجود على عرض ٩ درجات و ١٢ دقيقة عرضا شمالياً وبتكون النيل الابيض المعروف بالبحر الابيض فيسقى الدنكه والشلوك ويجوز بالحسانية الشرقية وبالحسانية الغربية ويكون على شاطئه الشرقى البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| بيار<br>داراب | ابوجنة | دنكه |
| ماكدا<br>ساقية اجياز<br>حلة العايس<br>منجيرا | تبداب<br>صالح<br>حلة الموصى<br>ولد شلعى | حسانية شرقية |

ويكون على شاطئه الغربى البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| عتاب<br>كاكا | كوچكه | شلوك |
| نوبرا<br>أولادشات<br>طور<br>حلة محمد<br>تبته<br>ام درامة | منهما سكتان ينتهيان الى بنى فزارة الموجودة فى غربيهما | حسانية غربية |

- ٤٥ -

وأما النيل الازرق المسمى بالبحر الازرق فهو خارج من جنوب بحيرة دمبعة ويلاقى شلال التا ويتقابل بعد ذلك معه عدة غدران حتى انه يثقب عدة جبال ويمر باراضى سنار الى أن يلتقى بالبحر الابيض فى مدينة الخرطوم ويوجد على شاطئه الشرقى من ابتداه البلاد الآتيه وهى

| | | |
|---|---|---|
| عباده | بسبوخ | من أراضى سنار على الشرق |
| كوتلا | أبوحراس | |
| مين | ميدانى | |
| نومى | هيلوتى | |
| كاراد | بيسكر | |
| دهبة | كركوج | |
| عبدين | سريه | |
| ترقيا | صوبة | |

ويكون على شاطئه الغربى من منبعه أيضا البلاد الآتيه وهى

| | | |
|---|---|---|
| داره | سنار | من أراضى سنار على الغرب |
| كيرالسا | وادى نجودى | |
| شلال ألتا | سبع دواليب | |
| محمد على | مدينة الود | |
| فيزاوغلى | هارنجى | |
| أبوروف | كاملين | |
| سيرو | المسلميه | |
| الدرملى | الخرطوم | |

وفى الخرطوم يلتقى النهيران ويكونان نهرا واحدا يسمى بالنيل المتعارف ويتجه بانعطاف الى جهة الشرق الى ان يتلاقى بنهير آخر خارج من شمال جبال الحبشة

يسمى باسم توقازة وهذا النهر يكون ممتدا من الشرق الى الغرب ويسمى نهير ستى ثم يتجه بانعطاف الى جهة الشمال الغربى حتى يتلاقى بالنيل ويسمى اتبارا ونقطة التقائهما هى بلدة الدامر ثم ان جميع ما كان شرقى هذا النهر من الاراضى الى شاطئ البحر الاحمر مسكون بعرب الحباب وقبائل بنى عامر وأولاد موسى أى عربان الهدندوه وهذه الارض كثيرة الجبال واسعة القفار وعرة وجميع ما كان غربى هذا النهر من الاراضى مسكون بعرب الشكرية وأراضيها وعرة أيضا والبلاد الموجودة على الشاطئ الشرقى للنيل من ابتداء الخرطوم الى الدامر هى

| | | |
|---|---|---|
| حلفايا | سجادى | شرقى |
| التمانيات | مطمار | |
| وكير | شلالات ايلاه | |
| بنى ناجه | حوايه | |
| شندى | الدامر | |

وعلى الشاطئ الغربى من الخرطوم الى الدامر توجد البلاد الآتيه وهى

| | | |
|---|---|---|
| أبو رمله | الشورواب | غربى |
| أم درامان | المكابده | |
| كررى | المتما أمام شندى | |

ومن بعد الدامر يتجه النيل الى جهة الشمال الغربى حتى يصل الى أبوحمد ويكون على شاطئه الشرقى البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| المسلمية | أبوحشين | شرقى من بعد الدامر |
| بربر | شلالات جيك | |
| انكيرى | أبوحمد | |
| شلالات جمار | | |

فقد عدة صفحات من الأصل نظراً لندرته ويستكمل الباقي تباعاً

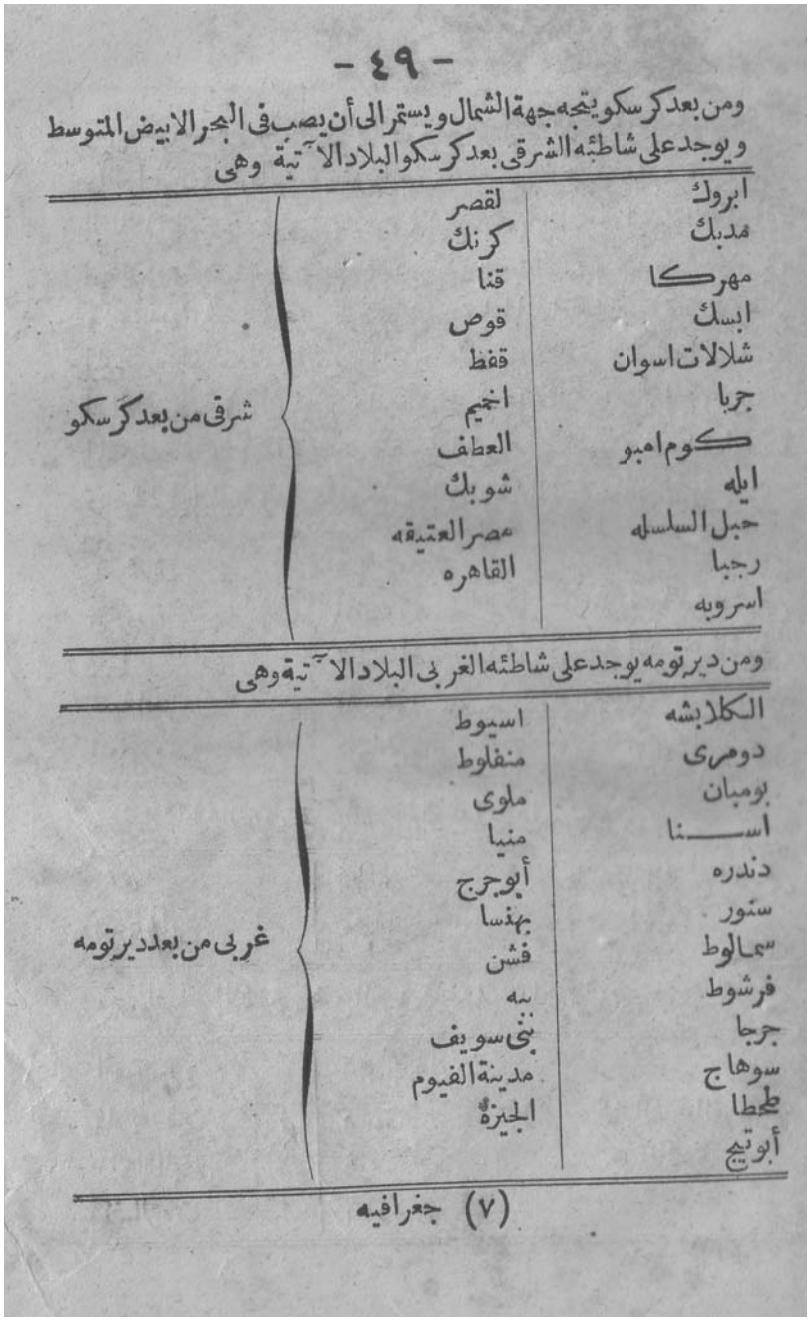

- ٤٩ -

ومن بعد كرسكو يتجه جهة الشمال ويستمر الى أن يصب فى البحر الابيض المتوسط ويوجد على شاطئه الشرقى بعد كرسكو البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| ابروك | لقصر | شرقى من بعد كرسكو |
| مدبك | كرنك | |
| مهركا | قنا | |
| ابسك | قوص | |
| شلالات اسوان | قفط | |
| جربا | اخميم | |
| كوم امبو | العطف | |
| ايله | شوبك | |
| جبل السلسله | مصر العتيقه | |
| رجبا | القاهره | |
| اسروبه | | |

ومن دير توميه يوجد على شاطئه الغربى البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| الكلابشه | اسيوط | غربى من بعد دير توميه |
| دومرى | منفلوط | |
| بومبان | ملوى | |
| اسنا | منيا | |
| دندره | أبوجرج | |
| ستور | بهنسا | |
| سمالوط | فشن | |
| فرشوط | بيه | |
| جرجا | بنى سويف | |
| سوهاج | مدينة الفيوم | |
| طحطا | الجيزة | |
| أبوتيج | | |

(٧) جغرافيه

ومن المحروسة يروى النيل بولاق وشبرا والوراق وباسوس وابو الغيط والقراطيين والخرقانية ثم ينقسم النيل عند المحل المسمى بطن البقرة التى فيها القناطر الخيرية وهى على بعد ٢٢ كيلومتر من شمال هرم الجيزة الاكبر الى فرعين أحدهما شرقى يتجه جهة دمياط ويصب بالقرب منها والآخر غربى ويتجه جهة رشيد ويصب بالقرب منها أيضا والمسافة المحصورة بين الفرعين المذكورين الى حد البحر الابيض المتوسط تسمى عند الافرنج بالدلته لانها تشبه الدال اليونانية ( V ) المسمى دلته أى على شكل مثلث قاعدته البحر الابيض المتوسط وزواياها الثلاثة هى القناطر الخيريه فى الجنوب ورشيد فى الغرب ودمياط فى الشرق والبلاد الموجودة على الشاطئ الشرقى للفرع الشرقى هى

| | | |
|---|---|---|
| كفر شرف | منية غمر | على الشاطئ الشرقى مع الفرع الشرقى للنيل |
| دجوه | المنصوره | |
| بنها | محلة منا ف | |
| منية العز | فارسكور | |
| المعصره | دمياط | |

وعلى الشاطئ الغربى للفرع الشرقى توجد البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| زفته | شربين | على الفرع الشرقى من الغرب |
| شبرى اليمن | منية أبو غالب | |

وعلى الشاطئ الشرقى للفرع الغربى توجد البلاد الآتية وهى

| | | |
|---|---|---|
| اشمون جريس | محلة أبو على | على الفرع الغربى من جهة الشرق |
| زاوية رزين | دسوق | |
| زاوية البقلى | فوّه | |
| كفر الزيات | مطوبس | |

وعلى الشاطئ الغربى يوجد البلاد الاتية وهى

| الاخصاص | شبرخيت | على الفرع الغربى من جهة الغرب |
|---|---|---|
| أم دينار | الرحمانية | |
| وردان | محلة الامير | |
| بنى سلامه | رشيد | |
| كوم شريك | | |

وعمق هذا النهر وسرعة جريانه يختلفان باختلاف الاماكن والفصول ففى الحالة المعتادة لايصلح هذا النهر الالسفن التى تكون حولة ٣٠٠ أردب تقريبا من البغاز الى الشلال وفى زمن نقص الماء وهبوطه تجد بغاز دمياط عمقه نحو ثمانية أقدام وبغاز رشيد لايزيد عمقه عن خمسة أقدام وفى زيادة الماء وارتفاعه يكون عمق كل من البغازين المذكورين كافيا لمسير سفينة الحرب ذات الاربع والعشرين مدفعا من التخت الى البوغاز

ثم ان البغازات من حيث هى صعبة العبور ولوفى زيادة الماء وارتفاعه لان كيمان الرمل المنتقلة من مكان الى آخر يخاف منها الملاحون فى سيرهم وأكثر كيمان الرمل المذكورة توجد فى البغازات فلايمكن مرور الملاح من البغاز الا بالمعرفة والمهارة التامة مع الجراءة والجسارة

وهذا النيل هو سبب فى خصوبة وادى مصر بواسطة فيضانه وجريانه وسقيه له فى أوقات معلومة مع تغطية أرضه ومزارعه بطين لطيف خصب يأتى به النهر فى وقت ازدياده وقد قدروا علو رسوبه على أراضى الوجه البحرى فى كل قرن بنحو ١٢ سنتى متر ولولا فيضان النيل على أراضى مصر لكانت عبارة عن صحارى ورمال ثم ان الطين المذكور له مدخل عظيم فى صناعة أفران القزاز وحجارة الشبقات ويصنع منه الطوب الجيد وأوانى الفخار المختلفة

وزيادة النيل ناشئة عن الامطار الغزيرة النازلة ببلاد الحبشة والنوبة والسودان فى أوقات منتظمة مدة الصيف ولا تصل تلك الزيادة الى الوجه البحرى الا بعد

ثلاثة أشهر وهذا التأخير ناشئ عن عدة أسباب منها طول مسافة مجراه بانحدار لطيف ومن كثرة تشرب الرمال الجافة الموجودة على شاطئيه ولا يبتدئ النيل فى الزيادة الا فى أواخر شهر بؤنه ويستمر عليها الى أول فصل الاعتدال من شهر توت ثم يصلب مدة أيام ويأخذ فى النقصان بنسبة واحدة كما فى زيادته بعد أن يترك على الارض طينة صفراء خصوبتها لا تنكر وهاك التركيب الكيماوى للطينة المذكورة المنحدرة من مواضع مختلفة فى الوجه البحرى وفى الوجه القبلى بعيدة عن مجرى النهر كما هو مبين بهذا الجدول فاعلم ان المائة جزء من الطين المذكور تتركب من

| | طيبه | منية | فيوم | منوف | دمنهور |
|---|---|---|---|---|---|
| سيليس . . . . | ٦٢,٠٦ | ٥٤,١٧ | ٥٣,٠٠ | ٥١,٧٥ | ٥٥,٢٠ |
| الومين . . . . | ١١,٠٠ | ١٥,١٩ | ١٠,٠٨ | ١٧,٠٠ | ١٢,٧٥ |
| مغنيسيا . . . . | ٣,٥٣ | ٥,٠٨ | ٣,٠٢ | ٥,١٠ | ١,٢٥ |
| اوكسيد الحديد المائى | ٩,٣٨ | ١١,٢٠ | .. | .. | .. |
| كربونات الحديد المائى | .. | .. | ١٤,٢٥ | ١٥,٠٠ | ٩,٢٥ |
| كربونات الصودا . . | .. | .. | ١,١٥ | .. | ٣,٠٠ |
| كربونات الجير . . . | ٢,٠٣ | ٤,٠٦ | ٧,٢٥ | ٣,١٥ | ٢,٩٠ |
| كبريتات الصودا . . | .. | .. | .. | .. | ٢,١٥ |
| كبريتات الجير . . . | ٠,٧٥ | ٠,٢٠ | ٢,٥٠ | ١,٧٥ | ٣,٢٥ |
| كلورور الكالسيوم . | ٢,٠٠ | .. | .. | .. | .. |
| كلورور الصديوم . . | .. | ١,١٠ | ٢,٧٥ | ٢,٢٥ | ٤,٢٥ |
| مواد عضويه . . . | ٩,٢٥ | ٩,٠٠ | ٦,٠٠ | ٤,٠٠ | ٦,٠٠ |
| | ١٠٠,٠٠ | ١٠٠,٠٠ | ١٠٠,٠٠ | ١٠٠,٠٠ | ١٠٠,٠٠ |

وطالما صار المدح فى مياه النيل بسبب ملأمتها للابدان لاسيما انها خفيفة جدا ومن خواصها تفريغ ما فى الجوف وتنقية ما فى الباطن وغير ذلك وهى صالحة جدا للزراعة ولنمو النباتات بخلاف غيرها من المياه العذبة اذ ثبت بالتجربة انه اذا أخذ أى نبات ما وزرع مرتين فى حوضين من أرض واحدة وروى أحدهما

الاعظم اسماعيل باشا حتى ان فى زمن حكومته الحالية قد حفر نحو ستون ترعة فى مديريات القطر المصرى ورتب لها ما لزم لانتظامها ومن ضمن ذلك ٢٠٧ من القناطر وعدة هاويسات ولنذكر بعض كلمات على تلك الترع فنقول

الترع الموجودة فى الاراضى المصرية تنقسم الى قسمين ترع عذبة وترعة مالحة والترع العذبة كبيرة أى صالحة لسير السفن وصغيرة أى لا تصلح الا للرى فقط ولا نتكلم هنا الا على الترع الكبيرة والترعة المالحة

## بيان الترع التى تسير فيها السفن

يوجد فى مصر وعلى الخصوص فى الوجه البحرى كثير من الترع المعدة للرى وكلها تأتيها المياه من النيل وتجف وقت هبوط المياه ما عدا ثلاث عشرة ترعة المياه تبقى فيها وتسير فيها المراكب مدة السنة بتمامها وتستعمل لنقل المحصولات والبضائع فى المحلات التى ليس فيها خطوط سكك الحديد ولنسودها فنقول

(الاولى) ترعة الاسماعيلية فهى فى جنوب بولاق قريبا من قصر النيل وتتبع جانب صحراء العرب لجوار الخانقاه وتمر بشرق بلبيس وبالعباسة الكبرى وعندها تلتقى بترعة الوادى التى فيها من بحر مويس عند الزقازيق وتمر أيضا برأس الوادى والمسخوطة وبمدينة الاسماعيلية وبمحطة قايد ثم بالسويس وطول انفرادها يبلغ نحو ٢٠٠ كيلومتر

(الثانية) ترعة الشرقاوية فهى من عند دمنهور شبرى على بعد ١٦ كيلومتر من شمال القاهرة وتمر بشبين القناطر وشلشلمون وتصب فى مصرف ابى الاخضر على بعد ٥٠ كيلومتر من فها وامتدادها من شلشلمون الى الشبانات يسمى بمصرف أبى الاخضر ومن عند الشبانات بقرب الزقازيق تسمى بحر فقوس الى أن تصب فى بحر مويس عند صان الحجر ومن شبين القناطر تمتد الشرقاوية حتى تقطع ترعة الوادى بقرب الشبانات وتسمى حينئذ مصرف البقر حتى تصب فى بحيرة المنزلة بالقرب من القنطرة

(الثالثة) ترعة بحر مويس فهى من عند منية راضى على بعد ٦ ١ كيلومتر من

# المصادر

- تقويم النيل - أمين سامي باشا.
- النيل حياة نهر – إميل لودفيج.
- السخرة في حفر القناة / دكتور عبد العزيز الشناوي
- المصريون المحدوثون / إدوارد لين.
- تاريخ الري في مصر / دكتور عبد العظيم سعودي.
- الروضة وحي المنيل – أيام مصرية.
- تقرير المعتمد البريطاني.
- الحياة الاجتماعية في مصر (في القرن التاسع عشر – دكتور نبيل عمرو إبراهيم)
- تاريخ الحركة القومية / عبد الرحمن الرافعي.
- كتاب الشركات المساهمة في مصر
- تقرير لمجلس الوزراء المصري ١٩٤٧.
- الفيضانات العالية واتقاؤها – جمعية المهندسين الملكية.
- مذكراتي في نصف قرن / أحمد شفيق باشا.
- مجلة المصور ١٩٥٦
- كتاب الجغرافيا ١٨٧٨
- مجلة كل شيء ١٩٣١
- حكاية الكوبري والعزبة والقصر والسجن – أيام مصرية.
- مجلة مصر اليوم.

# الفهرست

الفصل الأول - محاولة ترويض نهر..... (٨)

الفصل الثاني – أين اختفى صديق النيل..... (٢٨)

الفصل الثالث - حين غاب النيل عن حياة المصريين ..... (٤٤)

الفصل الرابع – أشهر وأقدم جزيرة في نيل القاهرة..... (٥٦)

الفصل الخامس – حكاية كوبري على النيل ..... (٦٦)

الفصل السادس – منابـــــع النيـــــل ..... (٧٦)

الفصل السابع – تدريس جغرافيا النيل للبنين (فى عهد الخديوى إسماعيل)..... (٨٢)